

٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر جمادى الثانية

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء السادس

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر جمادى الثانية الجزء السادس من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة
علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٢٩ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٦ / ١٤٤٥
ردمك :٣-٦٠٣٠-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة




بسم الله الرحمن الرحيم





إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويرضي الله عز وجل.





مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القاري الكريم الجزء السادس من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضم فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ. تمَّ تقسيمها على أيام السنة الهجرية بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مخصص لفوائد شهر جمادى الثانية، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحجة لكاتبه وقارئه وكل من أعان على نشره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن

drkhalid63@gmail.com

الرياض

شهر جمادى الثانية ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر جمادى الثانية

م	أيام السنة الهجرية	عنوان الفائدة	الصفحة
١	١ جمادى الثانية	التحذير من الإسراف والتبذير	٧
٢	٢ جمادى الثانية	التحذير من الافتراء والبهتان	١٢
٢	٣ جمادى الثانية	التحذير من التجسس	١٦
٤	٤ جمادى الثانية	التحذير من سوء الظن	٢١
٥	٥ جمادى الثانية	التحذير من الكذب	٢٥
٦	٦ جمادى الثانية	التحذير من التقليد والتبعية	٢٩
٧	٧ جمادى الثانية	التحذير من البخل والشح	٣٣
٨	٨ جمادى الثانية	التحذير من الجدال والمراء	٣٧
٩	٩ جمادى الثانية	التحذير من الجفاء	٤١
١٠	١٠ جمادى الثانية	التحذير من الجزع	٤٦
١١	١١ جمادى الثانية	التحذير من الكِبْر	٥٠
١٢	١٢ جمادى الثانية	التحذير من الحسد	٥٤
١٣	١٣ جمادى الثانية	التحذير من الحقد	٥٨
١٤	١٤ جمادى الثانية	التحذير من الخبث	٦٢
١٥	١٥ جمادى الثانية	التحذير من الخداع	٦٦
١٦	١٦ جمادى الثانية	التحذير من الخذلان	٧٠
١٧	١٧ جمادى الثانية	التحذير من الخيانة	٧٤
١٨	١٨ جمادى الثانية	التحذير من الذل والهوان	٧٨
١٩	١٩ جمادى الثانية	التحذير من السخرية والاستهزاء	٨٢
٢٠	٢٠ جمادى الثانية	التحذير من السفه والحمق	٨٦
٢١	٢١ جمادى الثانية	التحذير من الشماتة	٩٠
٢٢	٢٢ جمادى الثانية	التحذير من الطمع	٩٣
٢٣	٢٣ جمادى الثانية	التحذير من الظلم	٩٦
٢٤	٢٤ جمادى الثانية	التحذير من العُجْب	١٠١
٢٥	٢٥ جمادى الثانية	التحذير من العدوان	١٠٥
٢٦	٢٦ جمادى الثانية	التحذير من الغدر	١٠٩
٢٧	٢٧ جمادى الثانية	التحذير من الغش	١١٣
٢٨	٢٨ جمادى الثانية	التحذير من الغضب	١١٧
٢٩	٢٩ جمادى الثانية	التحذير من الغيبة والنميمة	١٢١
٣٠	٣٠ جمادى الثانية	التحذير من الفتور	١٢٥



١ جمادى الثانية

التحذير من الإسراف والتبذير

دين الإسلام هو دين التوسط والاعتدال والتوازن، في جميع أحكامه وتعاليمه، في العقائد والعبادات، والمعاملات والأخلاق، وقد وصف الله تعالى هذه الأمة بالأمة الوسط، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١).

ومن الأمور التي تتعارض مع مبدأ الوسطية والاعتدال؛ الإسراف ومجاوزة الحد، فالإسراف خَصلةٌ ذميمة، ذمَّها الله تعالى في نصوص كثيرة، وحذَّر مِن فعلها، وبيَّن أنها من أسباب العقوبات التي تنزل بالأمم.

وقال الإمام ابن باز رحمه الله: التبذير: وضع الأموال في غير محلها، وصرفها في غير جهة النفع، وقال تعالى في صفة النفقة المضبوطة المستقيمة: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾(٢)، يعني: لم يزيدوا في النفقة ولم يقصروا، بل أنفقوا وسطًا، فهذا هو المشروع. أما من زاد وأنفق في غير محل الإنفاق فهذا يقال له: إسراف وتبذير، وكل ما زاد على الحاجة يُسمَّى إسرافًا، وصرْف المال في غير وجهه يُسمَّى تبذيرًا، وصرف المال في وجهه هذا طيب وقصد. فالمؤمن يتحرَّى صرْف الأموال في وجوهها، وإذا أنفق في بيته أو على ضيوفه أو على خدامه ينفق وسطًا لا إسراف ولا تبذير: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾(٣) ، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾(٤)، ولكن بيَّنَ ذلك. فكونه يضع طعامًا زائدًا ولحومًا زائدة ما لها حد؛ ليس هذا من القصد، هذا من الإسراف، إلا إذا كان قصد أنه يعطيها الفقراء، الزائد يعطيه الفقراء والمساكين فلا بأس(٥).

وقد ورد ذم الإسراف والتبذير في القرآن والسنة:

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) الفرقان: ٦٧.

(٣) الفرقان: ٦٧.

(٤) الإسراء: ٢٩.

(٥) الضابط في معرفة الإسراف والتبذير، ابن باز.



قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾(١). قال ابن كثير: ينهى تعالى عن أكل أموال اليتامى من غير حاجة ضرورية إسرافًا(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾(٣). قال الطبري: السرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية؛ مجاوزة القدر في العطية إلى ما يجحف برب المال(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾(٥). قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره: السرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشته، حتى أنه ربما أدَّت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات، ففي هذه الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما(٦).

وممَّا ورد في ذم الإسراف والتبذير في السنة النبوية؛ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ". رواه النسائي(٧).

---

(١) النساء: ٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٦). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) الأنعام: ١٤١.

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٦١٤). تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٥) الأعراف: ٣١.

(٦) تفسير السعدي (ص: ٢٨٧). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٧) الحديث علقه البخاري (٥/٢١٨١) قبل الحديث (٥٤٤٦) كتاب اللباس، ووصله أبو داود الطيالسي (١/٢٩٩) (٢٢٦١) كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح (١٠/٢٥٣) وأخرجه وأحمد (٢/١٨١، ١٨٢) ، والنسائي في المجتبى (٥/٧٩) في الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، وابن ماجه (٢/١١٩٢) (٣٦٠٥) ، في سننه (٢/ ١١٩٢) برقم (٣٦٠٥) كتاب اللباس باب لبس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة. وصححه لحاكم (٤/١٥٠)، والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨/ ١٠٥).



وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ". رواه البخاري ومسلم(١).

يقول الحافظُ ابن رجب- رحمه الله-: إن المؤمن يأكل بأدب الشرع، فيأكلُ في معىً واحدٍ، والكافرُ يأكل بمُقتضى الشهوة والشَّرَهِ والنَّهَم، فيأكلُ في سبعة أمعاءٍ(٢).

وممَّا لا شك فيه أن الإسراف تتعدد صوره ومظاهره، وهو يقع في أمور كثيرة؛ كالمأكل والمشرب، والملبس والمسكن ، والمركب، وغيرها، ومن هذه الصور:

١- الإسراف في المعاصي والآثام، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾(٣).

٢- الإسراف في الأكل والشبع: وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسراف في تناول الطعام فقال:" مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ؛ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ". أخرجه الترمذي(٤).

---

(١) رواه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٠) برقم (١٧١٥) كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٧٤). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) الزمر: ٥٣.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٩٠) برقم (٢٣٨٠) أبواب الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٦٨) برقم (٦٧٣٧) كتاب الوليمة ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١١١) برقم (٣٢٤٩) كتاب الأطعمة باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٤١). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.



قال ابن القيم: العدل وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلَّا به، فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه، أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر، والأكل والشرب والجماع، والحركة والرياضة، والخلوة والمخالطة، وغير ذلك إذا كانت وسطًا بين الطرفين المذمومين كانت عدلًا، وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصًا وأثمرت نقصًا(١).

٣- الإسراف في المرافق العامة: وهو مذموم أيضًا كالإسراف في الماء والكهرباء، ويعتبر من إضاعة المال، قال المناوي: إضاعة المال هو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف، وسبب النهي أنه إفساد؛ والله لا يحب المفسدين(٢).

عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ، فقال:" ما هذا السرف؟ فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: نعم، وإن كنتَ على نهرٍ جارٍ". رواه ابن ماجه(٣).

وتقع عدة أضرار على الفرد والمجتمع من الإسراف والتبذير، حيث يعمل الإسراف على قلة موارد الفرد، مما يقوده إلى الفقر. كما أن الاستخدام الخاطئ لموارد الدولة يؤدي إلى قلتها، وعدم إيجاده من قبل بعض الأفراد. مما يقود إلى عدم الاستقرار في المجتمع. كما يعمل الإسراف والتبذير على غضب الفقراء، ونظرتهم بحقد إلى الأغنياء.

الخلاصة: أن الإسلام يدعو إلى التوسط والاعتدال في الأخلاق والسلوك، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾(٤)، حيث وصف الله تعالى

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٤١). الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

(٢) فيض القدير (٧/ ٣). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٤٧) برقم (٤٢٥) كتاب الطهارة وسننها باب ما جاء في القصد في الوضوء. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٤٩٧).

(٤) الفرقان: ٦٧.



عباده المؤمنين بأنهم لم يسرفوا. وهذا يدل على قيمة وعظمة عدم الإسراف. فيجب علينا أن نبتعد عن الإسراف، وأن نتصف بصفات المؤمنين.

وصدق الشاعر حيث قال:

اقتصدْ في كلِّ حالٍ ... واجتنبْ شحًّا وغُرمَا

لَا تكنْ حُلوًا فتؤكلْ ... لَا ولَا مُـــرًّا فتُرمَى[1]

---

(١) البيتان لعبد العزيز الدريني كما في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٢٠١). طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٢ جمادى الثانية

التحذير من الافتراء والبهتان

الافتراء: هو الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه، والبهتان: هو الكذب الذي يبهت سامعه، أي: يدهش ويتحيَّر، وهو أفحش الكذب، لأنه إذا كان عن قصد يكون إفكًا.

والافتراء والبهتان ظاهرة مستشرية، وسمة غالبة، وداء عضال، ومرض فتَّاك، وخُلُقٌ ساقطٌ بغيضٌ إلى الله، بغيض إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، بغيض إلى ذوي الفِطرة السليمة، يأباه الشرفاء، ويمقته العقلاء، وتمجُّه أنفس النبلاء، يُهين أصحابه، ويُذل أربابه، ويزري بمروجيه.

يقول الإمام الذهبي عن حكم الافتراء والبهتان: تعمُّد الكذب على الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم- في تحريم حلال أو عكسه؛ كفر محض[١].

وعدَّ الهيتمي البهت من الكبائر، قال: الكبيرة الرابعة والخمسون بعد المائتين: البهت، لما في الحديث الصحيح في الغيبة:" وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ". رواه مسلم[٢]. بل هو أشد من الغيبة، إذ هو كذب فيشق على كل أحد، بخلاف الغيبة لا تشق على بعض العقلاء؛ لأنها فيه[٣].

وقد ورد ذم الافتراء والبهتان في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[٤].

قال ابن كثير: لا أحد أشد عقوبة ممَّن كذب على الله، فقال: إن الله أوحى إليه شيئًا، ولم يُوحَ إليه شيء. ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله. وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه، فالأول مفترٍ، والثاني مُكذِّب؛ ولهذا قال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[٥].

---

(١) ينظر: الكبائر للذهبي (ص: ٧٠). الكبائر، المؤلف: تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠١) برقم (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الغيبة.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٤١). الزواجر عن اقتراف الكبائر، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٤) العنكبوت: ٦٨.

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٥).



وقال تعالى فيمن يفتري على الأنبياء: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾[١].

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن سخافة عقول الجهلة من الكفار، في قولهم عن القرآن: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ﴾: أي: كذب افتراه، يعنون النبي صلى الله عليه وسلم، ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ أي: واستعان على جمْعه بقوم آخرين، ﴿ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾أي: فقد افتروا هم قولًا باطلًا هم يعلمون أنه باطل، ويعرفون كذب أنفسهم فيما يزعمون[٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٣].

قال الإمام السعدي: ﴿وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ ﴾، والبهتان: الافتراء على الغير أي: لا يفترين بكل حالة، سواء تعلقت بهن وأزواجهن؛ أو سواء تعلق ذلك بغيرهم[٤].

ومما ورد من ذم الافتراء والبهتان في السنة النبوية:

عن واثلة بن الأسقع- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَر، أَوْ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا لَمْ يَقُلْ". رواه البخاري[٥].

وعن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ فِرْيَةً؛ لَرَجُلٌ هَاجَى رَجُلًا فَهَجَا الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا، وَرَجُلٌ انْتَفَى مِنْ أَبِيهِ وَزَنَّى أُمَّهُ". رواه ابن ماجه[٦].

---

(١) الفرقان: ٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٩٣).

(٣) الممتحنة: ١٢.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٥٨).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٠) برقم (٣٥٠٩) كتاب المناقب باب بدون ترجمة.

(٦) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٣٧) برقم (٣٧٦١) كتاب الأدب باب ما كره من الشعر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨/ ٢٦١).



أنواع الافتراء والبهتان:

١- الافتراء على الله، وهو أشد أنواع البهتان. وهو نوعان:

النوع الأول: أن يقول: قال الله كذا، وهو يكذب، كاذبٌ على الله، وما قال الله شيئًا من ذلك.

والنوع الثاني: أن يُفسِّر مُتعمِّدًا كلام الله بغير ما أراد الله، لأن المقصود من الكلام معناه، فإذا قال: أراد الله بكذا: كذا وكذا، فهو كاذب على الله، شاهد على الله بما لم يُرده الله عز وجل.

ومن صور الافتراء على الله أيضًا؛ التشريع في دين الله من غير مستند شرعي، والإفتاء بغير علم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[1].

كذا معارضة دين الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾[2].

ومنه أيضًا ادِّعاء الولاية والكرامة والمنزلة عند الله سبحانه وتعالى.

٢- الافتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو نوعان:

النوع الأول: بأن يقول: قال رسول الله كذا، ولم يقله، لكنه كذب عليه صلى الله عليه وسلم.

النوع الثاني: تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير معناه مُتعمِّدًا، ومن فعل ذلك فقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- الافتراء على المؤمنين: كأن يتقوَّل على أحد من المسلمين ما لم يقله، أو يقذفه بذنب وهو منه بريء، أو أن يغتابه بما ليس فيه.

عن جابر بن سمرة- رضي الله عنه- قال: "شكا أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب- رضي الله عنهما- فعزله، واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق؛ إن هؤلاء يزعمون أنك لا تُحسن تُصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلًا أو رجالًا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه، ويثنون معروفًا، حتى دخل

---

(١) النحل: ١١٦.

(٢) طه: ٦١.



مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعونَّ بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياء وسمعة؛ فأطل عمره، وأدم فقره، وعرِّضه للفتن، وكان بعدُ إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك- راوي الأثر عن سمرة -: فأنا رأيتُه بعدُ، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبَر، وإنه ليتعرَّض للجواري في الطرق يغمزهنَّ". رواه البخاري(١).

قال بعض الحكماء:

إنَّ الكـــريمَ إذا تقضَّـــى ودُّه — يُخفي القبيحَ ويُظهرُ الإحسانَا
وترَى اللئيمَ إذا تصرَّم حبـــلُه — يُخفي الجميلَ ويُظهرُ البُهتانَا(٢)

والخلاصة: ما قاله السمرقندي: ليس شيء من الذنوب أعظم من البهتان، فإن سائر الذنوب يحتاج إلى توبة واحدة، وفي البهتان يحتاج إلى التوبة في ثلاثة مواضع؛ **أَحَدُهَا**: أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْقَوْمِ الَذِينَ تَكَلَمَ بِالْبُهْتَانِ عِندَهُمْ، وَيَقُولُ: إِني قَد ذَكَرْتُ عِنْدَكُمْ فُلَانًا بِكَذَا وَكَذَا، فَاعْلمُوا أني كَاذِبٌ فِي ذَلِكَ، **وَالثَانِي**: أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الَذِي قَالَ عَلَيْهِ الْبُهْتَانَ وَيَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي حل، **وَالثَالِثُ**: أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَه تَعَالَى وَيَتُوبَ إِلَيْهِ(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥١) برقم (٧٥٥) كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت.

(٢) ينظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (٢/ ٣٦٢). قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

(٣) ينظر: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ١٦٧). تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



٣ جمادى الثانية

التحذير من التجسُّس

التجسس من الأخلاق السيئة التي نهى عنها الإسلام، سُئل الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: هل لي أن أتجسس على إنسان في بيته؛ لمعرفة إن كان عنده شيء من المحرمات أو الخمور أو يستعملها؟ فأجاب: ليس لك التجسس؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[١]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" ولا تَجَسَّسُوا"[٢]. رواه مسلم. فلا يجوز التجسس، وهو التنقيب عن الشخص لعله يجده على معصية، لا؛ بل إذا ستر الله مسلمًا فلا تحرص على كشفه، لكن متى ظهر الأمر، وبان بدون تجسس؛ وجب عليك النصيحة، والتوجيه إلى الخير، وإنكار المنكر، أما التجسس فلا يجوز.

وقال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية: قوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ يقول: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره. ثم ذكَرَ أثَرَ ابن عباس- رضي الله عنهما- في ذلك إذ يقول: نهى الله المؤمن من أن يتتبع عورات المؤمن[٣].

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم شدد في النهي عن التجسس والتحذير منه، وبيَّن أنه مُفسِدٌ للأخوَّة، وسبب في تقطيع الأواصر والصلات بين المؤمنين، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩) برقم (٥١٤٣) كتاب النكاح باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٥) برقم (٢٥٦٣) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظن والتجسسن والتنافس والتناجش ونحوها.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٤).



تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا". رواه البخاري ومسلم[١].

والتجسس صورة من صور ضعف الإيمان وضعف التدين وقلة المراقبة، وهو من الجانب الأخلاقي والسلوكي يدل على دناءة النفس وخِسَّتها، وضعف همتها، وانشغالها بالتافه من الأمور عن معاليها وغاياتها. قال أبو حاتم- رحمه الله- في روضة العقلاء: التجسُّس من شُعَب النفاق، كما أن حسن الظن من شُعَب الإيمان[٢].

ومَن ذا الذي تُرضَى سجاياه كلُّها كفى المرءَ نُبلًا أن تُعدَّ معايبُه[٣]

والتجسس داءٌ ينغص العيش ويفسد الحياة؛ حين تصبح الحياة مليئة بالشكوك والتخوُّفات، فلا يأمن الإنسان على خصوصياته وأسراره من أن تنكشفَ وتظهرَ للناس، بل يعيش المرء في حالة من الشك الذي لا ينتهي، والقلق الدائم الذي لا ينقضي.

فعن معاوية- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إنّك إن اتّبعتَ عوراتِ النّاس أفسدتَهم، أو كدتَ أن تفسدهم". فقال أبو الدرداء- رضي الله عنه-: كلمة سمعها معاوية من رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالى بها". رواه أبو داود[٤]، وفي رواية أخرى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩) برقم (٥١٤٣) كتاب النكاح باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٥) برقم (٢٥٦٣) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظن والتجسسن والتنافس والتناجش ونحوها. واللفظ لمسلم.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢٦). روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) ينظر: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (٢/ ١٣). الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (مطبوع بهامش شرح العكبري)، المؤلف: يوسف البديعي الدمشقي (المتوفى: ١٠٧٣هـ)، الناشر: المطبعة العامرة الشرفية، الطبعة: الأولى، ١٣٠٨هـ.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٧٢) برقم (٤٨٨٨) كتاب الأدب باب في النهي عن التجسس. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٨٨). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.



عن معاوية- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أعرضوا عن الناس، ألم تر أنك إن ابتغيتَ الريبة في الناس أفسدتَهم، أو كدتَ تفسدهم". رواه البخاري في الأدب المفرد(١).

والمجتمع الذي يريد منا الإسلام أن نكون عليه وأن نرقى إلى مستواه؛ مجتمع قد سما بنفسه عن سفاسف الأمور، وعن كل ما يوجب الضغينة، ويورث العداوة، ويوقد نار البغضاء والشحناء، مجتمع يبحث عن مواقع الإيجابيات فيما يعود على نسيجه بالترابط والتآزر والثقة، لذا توعَّد الله تعالى مَن يفرح وتُسرُّ نفسه بظهور عورات المسلمين بالعذاب الأليم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾(٢).

والتجسس دليل بيِّن على سوء الطوية، وعن نفاق يعشش في قلب صاحبه، وأن صاحبه بعيد عن الإيمان وإن ادَّعاه، لذا كان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن هذه صفته بقوله:" يا معشر مَن آمَنَ بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه؛ لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنَّه من اتَّبع عوراتهم يتَّبع الله عورته، ومن يتَّبع الله عورته يفضحْه في بيته" رواه أبو داود وأحمد(٣).

وصور التجسس عديدة، ووسائله كثيرة، كلها تهدف إلى فضح الناس، وكشف مستورهم، والاطلاع على عوراتهم وأسرارهم، ومن ذلك:

١- التجسُّس على بيوت الناس: فمن الناس من ابتلي بهذا المرض، فتراه يتجسس على الناس في منازلهم، للاطلاع على عوراتهم والكشف عن سوءاتهم، إما بالاستماع من وراء الأبواب والنوافذ، أو بالنظر فوق الأسطح، أو بالدخول في البيوت على حين غفلة من أهلها، أو باستئذان لغرض كاذب تافه كشرب الماء مثلًا، والمقصود غيرُ ذلك.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٩٦) ولفظه: «إنك إذا اتبعت الريبة في الناس أفسدتهم» فإني لا أتبع الريبة فيهم فأفسدهم. الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ١١٠). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) النور: ١٩.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٣/ ٢٠) برقم (١٩٧٧٦). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٧٠) برقم (٤٨٨٠) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٨٠).



وكل ذلك من قبائح الأفعال التي نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنها، فما شرعَ اللهُ الاستئذانَ عند دُخولِ البيوتِ إلا حماية لخصوصيات الناس، وحفاظًا على أسرارهم، وصِيانة وسترًا لعوراتِهم، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾(١).

وقد بيَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حكمةَ هذا الاستِئذان والغايةَ من تشريعِه، كما في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعدٍ- رضي الله عنه- قال:" اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَعَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ؛ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ"(٢) أي حتى لا يقع بصرُ الطارقِ على ما لا يريد أهل ذلك البيت أن يراه أحد.

٢- التنصُّتُ على الناس والاستماع إليهم خفية: وقد توعَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يفعل هذا؛ روى البخاري عن ابن عباس- رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ؛ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ"(٣). والآنك: الرَّصاص المذاب.

٣- محاولة الاطلاع على ما يُخفيه الناس عن غيرهم، فمن الناس مَن تتطلَّع نفسه إلى معرفة ما يُخفيه الناس في هواتفهم أو أوراقهم أو صورهم ونحو ذلك، وقد قال النبي- صلى الله عليه وسلم-:" مِن حُسْنِ إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه". أخرجه الترمذي(٤).

---

(١) النور: ٢٧- ٢٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٤) برقم (٦٢٤١) كتاب الاستئذان باب الاستئذان من أجل البصر. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٩٨) برقم (٢١٥٦) كتاب الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٤٢) برقم (٧٠٤٢) كتاب التعبير باب من كذب في حلمه.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/٥٥٨) برقم (٢٣١٧) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣١٥) برقم (٣٩٧٦) كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف ابن ماجه (٨/ ٤٧٦).

الخلاصة: أن التجسس على العورات خلق ذميم، فاتقوا الله عبادَ الله، ودَعُوا التجسُّسَ على الناس وتتبُّعَ زلَّاتِهِم وعوراتِهِم؛ فذلك أتقى لربكم، وأسعدُ لقلوبكم، وأحسنُ لمعاشِكم ومَعادِكم.

لَا تلتمسْ من مساوي الناسِ مَا سَتروا   فيهتكَ الناسُ سترًا من مساويكا

واذكرْ مُحاسِنَ ما فيهـــــم إذا ذُكِروا   ولا تعِبْ أحــدًا عيبًا بما فيكا[1]

(١) عيون الأخبار (٢/ ٢٣). عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ.



٤ جمادى الثانية

التحذير من سوء الظن

قال ابن القيم- رحمه الله-: سوء الظن هو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح على اللسان والجوارح(١).

وقال ابن كثير: سوء الظن هو التهمة والتخوُّن للأهل والأقارب والناس في غير محله(٢).

وقد قال تعالى في ذم سوء الظن بالله تعالى وعاقبة مَن فعل ذلك: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(٣).

قال ابن القيم: فُسِّر هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن أمره سيضمحل، وأنه يُسلمه للقتل، وقد فُسِّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره، ولا حكمة له فيه، ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله- صلى الله عليه وسلم-، ويظهره على الدين كله. وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحُسنى، وصفاته العُليا، وذاته المبرأة من كل عيب وسوء(٤).

وقال سبحانه في عاقبة مَن ظن به السوء: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٥).

---

(١) ينظر: الروح (ص: ٢٣٨). الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، سنة النشر: بدون.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٧).

(٣) آل عمران: ١٥٤.

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٠٥). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٥) فصلت: ٢٢ – ٢٣.

قال أبو حيان الأندلسي: هذا الظن كفر وجهل بالله وسوء مُعتقد؛ يُؤدِّي إلى تكذيب الرسل والشك في علم الإله[(١)].

وقال سبحانه في ذم سوء الظن بمَن ظاهره العدالة من المسلمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[(٢)].

قال السعدي: نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين، فإِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء الذي يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرَّمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب؛ لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضًا إساءة الظن بالمسلم وبغضه وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه[(٣)].

والحكم على سوء الظن يشمل قسمين: سوء الظن الذي يُؤاخَذ به صاحبُه، وسوء الظن الذي لا يُؤاخَذ به صاحبُه.

فالقسم الأول: سوء الظن الذي يُؤاخَذ به صاحبُه؛ وضابط هذا النوع: هو كل ظن ليس عليه دليل صحيح مُعتبر شرعًا، استقر في النفس، وصدَّقه صاحبه، واستمر عليه، وتكلم به، وسعى في التحقُّق منه.
وهو أنواع، ولكل نوع حكم خاص، وهو كالتالي:
١- سوء الظن المحرَّم: ويشمل سوء الظن بالله تعالى، وسوء الظن بالمؤمنين.
قال ابن القيم: أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به[(٤)]، أما سوء الظن بالمؤمنين؛ ويشمل سوء الظن بالأنبياء وهو كفر، كما قال النووي: ظن السوء بالأنبياء كفر بالإجماع[(٥)]، وقد عدَّ الهيتمي سوء الظن بالمسلم الذي ظاهره العدالة من الكبائر[(٦)].

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٢٩٩). البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
(٢) الحجرات: ١٢.
(٣) تفسير السعدي (ص: ٨٠١).
(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ١٣٨). الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
(٥) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٥٦). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.
(٦) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٣٠).



٢- سوء الظن الجائز: ويشمل سوء الظن بمن اشتهر بين الناس بمخالطة الريب، والمجاهرة بالمعاصي، وسوء الظن بالكافر. قال ابن عثيمين- رحمه الله-: يحرم سوء الظن بمسلم، أما الكافر فلا يحرم سوء الظن فيه؛ لأنه أهلٌ لذلك، وأما من عُرِف بالفسوق والفجور، فلا حرج أن نُسيء الظن به؛ لأنه أهلٌ لذلك، ومع هذا لا ينبغي للإنسان أن يتتبع عورات الناس، ويبحث عنها؛ لأنه قد يكون مُتجسِّسًا بهذا العمل[١].

٣- سوء الظن المستحب: وهو ما كان بين الإنسان وعدوِّه، قال أبو حاتم البستي: ما يستحب من سوء الظن كمن بينه وبينه عداوة أو شحناء في دين أو دنيا، يخاف على نفسه مَكْرَهُ، فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده ومكْره لئلا يُصادفه على غرة بمكْره فيهلكه[٢].

٤- سوء الظن الواجب: وهو ما احتيج لتحقيق مصلحة شرعية كجرح الشهود ورواة الحديث.

فعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ... كما أنَّ عينَ السخطِ تُبدي المسَاوِيَا[٣]

والقسم الثاني: سوء الظن الذي لا يُؤاخَذ به صاحبُه، وضابطه: هو الخواطر الطارئة غير المستقرة التي يجاهدها صاحبها ولا يسعى للتحقُّق منها.

قال النووي: الخواطر وحديث النفس؛ إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفوٌ عنه باتفاق العلماء، لأنه لا اختيار له في وقوعه، ولا طريق له إلى الانفكاك عنه، وهذا هو المراد بما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ به أَنْفُسَهَا، ما لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ بهِ". رواه مسلم[٤] [٥].

أسباب الوقوع في سوء الظن:

١- الجهل وسوء القصد والفهم.

٢- اتباع الهوى وتعميم الأحكام على الناس.

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٥/ ٣٠٠). الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢٧).

(٣) حماسة الخالديين (ص: ١٠٤) حماسة الخالديين = بالأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، المؤلف: الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (المتوفى: نحو ٣٨٠هـ) ، و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (المتوفى: ٣٧١هـ)، المحقق: الدكتور محمد علي دقة، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، عام النشر: ١٩٩٥م.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١١٦) برقم (١٢٧) كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر.

(٥) الأذكار للنووي (ص: ٣٤٥). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.



٣- مصاحبة أهل الفسق والفجور، قال أبو حاتم البستي: صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم[١].

٤- الحضور في مواطن التهم والريب: ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: من أقام نفسه مقام التهمة فلا يلومنَّ مَن أساء به الظن[٢].

٥- الحقد والحسد على المظنون به.

الخلاصة: قال سماحة الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: أما مَن فُتِنَ- والعياذ بالله- وصار يتتبع عورات الناس، ويبحث عنها، وإذا رأى شيئًا- يحتمل الشر ولو من وجه بعيد- طار به فرحًا ونشره؛ فليبشر بأنَّ مَن تتبَّع عورة أخيه تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته فضحه ولو في جحر بيته[٣].

إذا سَاءَ فعلُ المرءِ ساءتْ ظُنونُهُ　　　وَصَـدَّقَ مـا يعتـادُه مـن تـوَّهُمِ
وعادى مُحِبِّيه بقـــولِ عداتِهِ　　　وَأصبَحَ في ليلٍ من الشكِّ مُظلمِ[٤]

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٠٠).

(٢) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ١٦١). مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٥/ ٣٠١).

(٤) الحماسة المغربية (١/ ٥٠٠). الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م.



٥ جمادى الثانية

التحذير من الكذب

الكذب: هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواءً كان عمدًا أم خطأً.

وقال النووي: هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمدًا كان أو سهوًا، سواء كان الإخبار عن ماض أو مستقبل(١).

وهناك فرق بين الكذب والافتراء؛ فالكذب: هو عدم مطابقة الخبر للواقع، والافتراء: أخص منه، لأنه كذب في حق الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه.

وقد ورد ذم الكذب في القرآن الكريم والسنة النبوية:

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾(٢).وقال عز وجل: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾(٣).

وقال تعالى في وصف المنافقين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾(٤).

قال السعدي- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾(٥): في هذا الوعد الذي غرُّوا به إخوانهم، ولا يُستكثر هذا عليهم، فإن الكذب وصفهم، والغرور والخداع مقارنهم، والنفاق والجبن يصحبهم، ولهذا كذَّبهم الله بقوله، الذي وجد مخبره كما أخبر الله به، ووقع طبق ما قال، فقال:" لَئِنْ أُخْرِجُوا" من ديارهم جلاءً ونفيًا" لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ" لمحبتهم للأوطان، وعدم صبرهم على القتال، وعدم وفائهم بوعدهم(٦). وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان". رواه البخاري ومسلم(٧).

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٥٧).

(٢) النحل: ١٠٥.

(٣) الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣.

(٤) الحشر: ١١ – ١٢.

(٥) التوبة: ١٠٧.

(٦) تفسير السعدي (ص: ٨٥٢).

(٧) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٣) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) برقم (٥٩) كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق.

وعنه أيضًا- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كَفَى بالمرءِ كذِبًا أن يُحدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَ". رواه مسلم(١).

قال ابن الجوزي: فيه تأويلان أحدهما: أن يروي ما يعلمه كذبًا ولا يُبيِّنه، فهو أحد الكاذبين، والثاني: أن يكون المعنى بحسب المرء أن يكذب، لأنه ليس كل مسموع يُصدَّق به، فينبغي تحديث الناس بما تحتمله عقولهم(٢).

وللكذب صور كثيرة؛ منها:

١- الكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم: وهذا أعظم أنواع الكذب، والكذب على الله نوعان: النوع الأول: أن يقول: قال الله كذا، وهو يكذب.

والنوع الثاني: أن يُفسِّر كلام الله بغير ما أراد الله، لأن المقصود من الكلام معناه، فإذا قال: أراد الله بكذا: كذا وكذا؛ فهو كاذب على الله، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾(٣).

والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول عليه ما لم يقله، وقال صلى الله عليه وسلم:" من كذب عليَّ مُتعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار". رواه البخاري(٤). وأكثر الناس كذبًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الرافضة الشيعة، فإنه لا يوجد في طوائف أهل البدع أحدٌ أكثر منهم كذبًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نص على هذا علماء مصطلح الحديث رحمهم الله، لما تكلموا على الحديث الموضوع قالوا: إن أكثر مَن يكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم هم الرافضة الشيعة، وهذا شيء مُشاهَد ومعروف لمن تتبَّع كتبهم.

٢- الكذب على الناس: فيظهر الإنسان فيه أنه من أهل الخير والصلاح، والتُّقى والإيمان، وهو ليس كذلك، بل هو من أهل الكفر والطغيان والعياذ بالله، فهذا هو النفاق، النفاق الأكبر الذي قال

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٠) برقم (بدون رقم) باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٣٤٠). كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن - الرياض، سنة النشر: بدون.

(٣) الأنعام: ٩٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٣) برقم (١١٠) كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (١/ ١٠) برقم (٣) مقدمة الإمام مسلم باب في التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.



الله في أهله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾(١) لكنهم يقولون بألسنتهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون، وشواهد ذلك في القرآن والسنة كثيرة، إنهم- أعني المنافقين- أهل الكذب؛ يكذبون على الناس في دعوى الإيمان وهم كاذبون، وانظر إلى قول الله تعالى في سورة (المنافقون) حيث صدر هذه السورة ببيان كذبهم حيث قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾(٢) أكدوا هذه الجملة بثلاثة مؤكدات؛ (نشهد) (إنَّ) (اللام)، يؤكدون أنهم يشهدون أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله، فقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾(٣) في قولهم ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ هذا أيضًا من أنواع الكذب، وهو أشد أنواع الكذب على الناس؛ لأنَّ فاعله- والعياذ بالله- منافق.

٣- الكذب في الحديث بين الناس: يقول: قلتُ لفلان كذا، وهو لم يقله، وقال فلان كذا، وهو لم يقله، وجاء فلان، وهو لم يأت وهكذا، هذا أيضًا مُحرَّمٌ، ومن علامات النفاق.

٤- كذب الحكام على الشعوب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، قالَ أبو مُعاوِيَةَ: ولا يَنْظُرُ إليهِم، ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كَذّابٌ، وعائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ". رواه مسلم(٤).

٥- الكذب لإضحاك الناس: رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" ويلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بالحدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القوْمَ فيَكَذِبُ، ويلٌ لَهُ، ويلٌ لَهُ". رواه الترمذي(٥).

قال الشيخ ابن عثيمين: وهذا ما يفعله بعض الناس ويسمُّونها (النكت)، يتكلم بكلام كذب ولكن من أجل أن يضحك الناس، هذا غلط، تكلَّم بكلام مباح من أجل أن تُدخل السرور على قلوبهم، وأما الكلام الكذب فهو حرام(٦). والحكمة من هذا المنع أنه يجرُّ إلى وضع أكاذيب ملفَّقة على أشخاص معينين يُؤذيهم الحديث عنهم، كما أنه يُعطي ملكة التدرُّب على اصطناع الكذب وإشاعته، فيختلط في المجتمع الحق بالباطل والباطل بالحق.

---

(١) البقرة: ٨.

(٢) المنافقون: ١.

(٣) المنافقون: ١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٠٢) برقم (١٠٧) كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٥٧) برقم (٢٣١٥) أبواب الزهد باب بيان فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس.

(٦) شرح رياض الصالحين (٦/ ١١٧). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

قال الشاعر:

لَا يكـذبُ المرءُ إِلَّا مِـنْ مَهَانتِه   أو عادةِ السوءِ أو من قلَّةِ الأدَبِ
لَعضُّ جيفةِ كلبٍ خيرُ رائحـــةٍ   من كذبةِ المرءِ في جدٍ وفي لَعبِ[١]

والخلاصة: أن الكذب هو رأس الخطايا، وكما قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: لأن يضعني الصدق- وقلَّما يضع- أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب- وقلَّما يفعل-[٢].

وكما قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-: أعظم الخطايا الكذب، ومن يعفُ يعفُ الله عنه[٣].

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٩/ ٣٢). مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، المؤلف: أحمد قبش بن محمد نجيب.

(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٦٣). أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٣٨). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.



٦ جمادى الثانية

التحذير من التقليد والتبعية

قال الإمام ابن تيمية: التقليد هو قبول القول بغير دليل[١]. وقال الجرجاني: التقليد عبارة عن اتِّباع الإنسانِ غيرَه فيما يقول أو يفعل؛ مُعتقدًا للحقيقة فيه؛ من غير نظر وتأمُّل في الدليل[٢].

وقد ورد ذمُّ التقليد والتبعية والنهي عنهما في القرآن الكريم:-

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[٣].

قال الإمام السعدي- رحمه الله-: أخبر تعالى عن حال المشركين إذا أُمِروا باتِّباع ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم - ممَّا تقدَّم وصفه- رغبوا عن ذلك، وقالوا: بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل النَّاس، وأشدُّهم ضلالًا، وهذه شبهة - لردِّ الحقِ- واهيةٌ، فهذا دليلٌ على إعراضهم عن الحقِ، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هُدُوا لرُشْدِهم، وحسن قصدهم، لكان الحقُّ هو القَصْد، ومن جعل الحقَّ قصده، ووازن بينه وبين غيره؛ تبيَّن له الحقُّ قطعًا، واتَّبعه إن كان مُنصفًا. ثمَّ قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[٤] [٥].

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (٢/ ٢٥٢). المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

(٢) التعريفات (ص: ٦٤). كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٣) البقرة: ١٧٠-١٧١.

(٤) البقرة: ١٧١.

(٥) تفسير السعدي (ص: ٨١).



وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾(١) أي: أجئتنا لتصدَّنا عمَّا وجدنا عليه آباءنا مِن الشِّرك وعبادة غير الله، وتأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له؟! فجعلوا قول آبائهم الضَّالين حُجَّةً، يردُّون بها الحقَّ الذي جاءهم به موسى -عليه السَّلام-.

وقال ابن عبد البر بعد ما سرد الآيات التي فيها ذم التقليد كقوله تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾(٣). قال: وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد، ولم يمنعهم كفر أولئك من جهة الاحتجاج بها؛ لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد، كما لو قُلِّد رجل فكفر، وقُلِّد آخر فأذنب، وقُلِّد آخر في مسألة دنياه فأخطأ وجهها، كان كلُّ واحد ملومًا على التقليد بغير حجة؛ لأنَّ كلَّ ذلك تقليد يشبه بعضه بعضًا، وإن اختلفت الآثام فيه(٤).

ومما ورد عن ذمِّ التقليد والتبعية في السُّنَّة النَّبويَّة:

عن عدي بن حاتم- رضي الله عنه- قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب، فقال لي: يا عدي بن حاتم؛ ألقِ هذا الوثن من عنقك. وانتهيتُ إليه وهو يقرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٥)، قال: قلتُ: يا رسول الله؛ إنَّا لم نتخذهم أربابًا، قال: بلى، أليس يُحِلُّون لكم ما حُرِّم عليكم فتحلونه، ويُحرِّمون عليكم ما أحلَّ الله لكم فتحرِّمونه؟ فقلتُ: بلى، قال: تلك عبادتهم". رواه الترمذي(٦).

---

(١) يونس: ٧٨.

(٢) البقرة: ١٦٦-١٦٧.

(٣) الأنبياء: ٥٢-٥٣.

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧٨). جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

(٥) التوبة: ٣١.

(٦) رواه قريبًا من هذا اللفظ الترمذي في جامعه (٥/ ٢٧٨) برقم (٣٠٩٥) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة.

ويجب التفريق بين التقليد والاتباع: فكل من اتَّبعتَ قوله من غير أن يجب عليك قبوله لدليل يوجب ذلك؛ فأنت مُقلِّده، والتقليد في دين الله غير صحيح. وكل من أوجب عليك الدليل اتِّباع قوله؛ فأنت مُتَّبِعه، والاتباع في الدين مشروع.

وللتقليد والتبعية آثارٌ تنعكس سلبًا على الأمة والأفراد، لعل ما يدمي القلب منها فنستشعره في الحياة قبل الممات؛ الانقسام والتشرذم، وفقدان النصير، وانتشار الفساد بأوجهه القبيحة المتعددة، وموالاة الكافرين، وما ينجم عن ذلك من إفساد للعقول ومسخ للثقافة، وربما ارتدادٌ وكفرٌ بعد الإيمان، ثم بعد الموت تكون الحسرة، ويعم الخصام، ويشتعل فتيل اللوم والعتاب، وما يصاحب ذلك كله من استقبال مهين بين الأتباع والمتبوعين.

وأما حكم التقليد: فيتحدد حكم مَن قلَّد غيره، وصار إمعة له بحسب ما يتابع غيره عليه، إن كان كفرًا كان تقليده له كفرًا- إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع-، وإن كان بدعة صار فعله بدعة، وإن كان فسقًا كان فعله فسقًا، وهكذا.

ويخرج مِن هذا الحكم ما يلي:

١- متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فقد أمر الله تعالى بمتابعته، ولا يُعدُّ هذا من التقليد.

٢- تقليد العامِّي للعلماء فيما يحتاج إليه مِن أمور دينه؛ لأنَّه لا يستطيع البحث ومعرفة الحكم بدليله.

٣- اتِّباع الإجماع وموافقة الجماعة؛ ولذلك قلنا فيمن يُوصف بالإمَّعة: هو الذي يُقلِّد غيره تقليدًا مجرَّدًا عن الشَّرع والعقل.

قال الإمام ابن القيم: وكانوا يُسمُّون- أي: الصحابة والتابعون- المقلِّد الإمعة ومحقب دينه، كما قال ابن مسعود: الإمعة الذي يحقب دينه الرجال، وكانوا يُسمُّونه الأعمى الذي لا بصيرة له، ويسمون المقلِّدين أتباع كل ناعق، يميلون مع كل صائح(١).

ومن آثار التقليد والتبعية: التفرُّق والميل عن سبيل الله، الخذلان وفقدان النصير، التلاعن بين الأتباع والمتبوعين، العذاب المهين والاستقبال المشين في جهنم، التخاصم والتلاوم، التقليد يُعمي عن إدراك الحقائق، المقلِّد يقبل الكلام بغير حجة سواء كان خيرًا أم شرًّا.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٨٤). إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

الخلاصة: أن التقليد من غير دليل مذموم، وما دام للتقليد هذا الوجه البشع، وما دامت له هذه التبعيات الخطيرة، والآثار المؤلمة؛ فلا بدَّ من مواجهته والحدِّ منه، وذلك بالنظر للأمم السابقة، وما حلَّ بها من عقاب لنربأ بأنفسنا عمَّا دنَّسوا أنفسهم به، ولا يستقيم الأمر على هذا النحو، ولا يُجدي الكلام نفعًا دون قدوة حسنة يُقتدَى بها. وما كان للتقليد أن يشيع في الأزمنة كلها، وما كان له أن يتربَّع على عروش الأفئدة؛ لولا عوامل أفرزته وأسباب غذَّته، يقف على رأسها الجهل بحقيقة الألوهية ورسالة الأنبياء. ثم ينازع الجهلَ في القبح اتباعُ الهوى؛ اتباعُه في شبهات تتعلَّق بالعقائد وأخرى بالتشريع، واتباعه فيما تشتهيه النفس، وما يُزيِّنه لها الشيطان والسلطان.

قال الشاعر:

لَا تقنعنَّ ومذهبٌ لك ممكنٌ ... فـإذا تضـايقتِ المطـامعُ فـاقنعِ
ومِـن المـروءةِ قـانعٌ ذو هِمَّـةٍ ... يسـمو لهـا فـإذا نَبـتْ لم يَهلـعِ
مَا كنتُ إمَّعةً ولكن همَّــــة ... تأبى الهوانَ وفسـحة في المنْجَعِ(١)

(١) الآمل والمأمول (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا). الآمل والمأمول، المؤلف: ينُسب لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، ولا يُقطع بنسبته إليه، والأرجح أنه لابن المزبان الباحث.



٧ جمادى الثانية

التحذير من البخل والشح

لعل صعوبات الحياة، وما ينتج عنها من الميل إلى العيش الانفرادي، الذي هو سلوك يدفع الإنسان إلى البخل والأنانية ونحوها من الصفات قد قضت على مقابل هذه الصفات من السجايا الطيبة كالكرم والتعاون وأحلت محلها البخل والحرص والشح. ومنذ القِدم نُظِرَ إلى البُخل بوصفه إحدى الرذائل، فالبُخل هو تَرْكُ خُلُق الإيثار عند الحاجة.

ومن الممكِن أن يتمثَّل البُخل في قِلّة إنفاق المال، أو البُخل في الإصلاح بين الناس، وخاصة إذا كان الإنسانُ صاحبَ قدرة على التأليف بين قلوب الناس، وقد قال بعض الحُكماء عن البُخل: إنَّ الرزق مَقسوم، والحَريص مَحروم، والحَسود مَغموم، والبَخيل مَذموم[١].

قال الراغب الأصفهاني: البُخْلُ هو إمساك المقتنيات عمَّا لا يَحقُّ حبسُها عنه[٢]. وقال ابن حجر: البخل هو منع ما يُطلب ممَّا يُقتنى، وشرُّه ما كان طالبُه مُستحِقًّا، ولا سيما إن كان من غير مال المسئول[٣]. أما الشُّحُّ فهو البُخْل مَع حِرْصٍ. قال النووي: الشُّحُّ: هو البخل بأداء الحقوق، والحرص على ما ليس له[٤]. قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في كتابه شرح رياض الصالحين: والبخل هو منع ما يجب وما ينبغي بذله. والشح: هو الطمع فيما ليس عنده، وهو أشد من البخل؛ لأن الشحيح يطمع فيما عند الناس ويمنع ما عنده. والبخيل يمنع ما عنده مما أوجب الله

---

(١) من قول جعفر بن يحيى. كما في التمثيل والمحاضرة (ص: ١٤٦). التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٠٩). المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٥٧). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٢٢).

عليه من زكاة ونفقات، ومما ينبغي بذله فيما تقتضيه المروءة. وكلاهما- أعني البخل والشح- خُلُقان ذميمان[١].

ومما لا شك فيه أن الشُّح من أقبح الصفات، فهو مُنافٍ للإيمان، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ولا دخان جهنم في جوف عبد أبدًا، ولا يجتمع الشحُّ والإيمان في قلب عبد أبدًا". رواه النسائي[٢].

والشُّح يُهلِك صاحبه، وإذا شاع في المجتمعات مزَّقها وأهلكها، قال صلى الله عليه وسلم:" وأما الملهكات: فشحٌّ مُطاع، وهوىً مُتَّبَع، وإعجاب المرء بنفسه ". ذكره الألباني في صحيح الجامع، وقال: حسن من حديث ابن عمر- رضي الله عنه-[٣].

ولهذا حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الخُلق الذميم؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى شيوع الظلم، وقطيعة الرحم، وسفك الدماء، وأكل الأموال، فعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" إياكم والشحَّ؛ فإنَّ الشحَّ أهلك مَن كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا". رواه أبو داود[٤].

وقال محمود الورَّاق- رحمه الله تعالى-:

تمتَّـعْ بمالـكَ قبـلَ المماتِ ... وإلَّا فـلا مـالَ إنْ أنـتَ مُتَّـا

شَـقِيتَ بـه ثُـمَّ خَلَّفْتَـهُ ... لِغـيرك بُعـدًا وسُحـقًا ومقْتَـا

فجـادَ عليـكَ بِـزُورِ البُـكَا ... وَجُـدْتَ لـه بالـذي قَـدْ جَمَعتَـا

وأعطيتَه كُـلَّ مـا في يديكَ ... فَخلَّاك رَهنًا بمَا قَـدْ كَسَبتَا[٥]

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٤١٠).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٤/ ٢٧٥) برقم (٤٣٠٣) كتاب الجهاد فضل من عمل في سبيل الله على قدمه. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٧/ ١٨٢). صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٣) الحديث أخرجه البزار في البحر الزخار (٨/ ٢٩٥) برقم ٣٣٦٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٥٨٤). وقد ذكره في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٤١٢).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٢٦) برقم (٦٤٨٧). وأبو داود في سننه (٢/ ١٣٣) برقم (١٦٩٨) كتاب الزكاة باب في الشح. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٩٥) برقم (١١٥١٩) كتاب التفسير باب قوله تعالى: "ومن يوق شح نفسه". والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ١٩٨).

(٥) مساوئ الأخلاق للخرائطي (ص: ١٦٨). مساوئ الأخلاق ومذمومها، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.



وقد ذمَّ الله- تبارك وتعالى- البخل في غير آية من كتابه الكريم، وتوعَّد أصحابه بوعيد شديد، وعقوبات تلحقهم في الدنيا والآخرة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [1] أي: ولا يظنُّ الذين يبخلون، أي: يمنعون ما عندهم ممَّا آتاهم الله من فضله، من المال والجاه والعلم، وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذْل ما لا يضرُّهم منه لعباده، فبخلوا بذلك، وأمسكوه، وضنُّوا به على عباد الله، وظنُّوا أنَّه خير لهم، بل هو شرٌّ لهم، في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وآجلهم؛ ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[2]، أي: يُجعَل ما بخلوا به طوقًا في أعناقهم؛ يُعذَّبون به. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[3] أي: يجمعون بين الأمرين الذميمين، اللذَينِ كلٌّ منهما كافٍ في الشرِّ؛ البخل وهو منع الحقوق الواجبة، ويأمرون الناس بذلك، فلم يكفهم بُخلهم، حتى أمروا الناس بذلك، وحثّوهم على هذا الخلق الذميم، بقولهم وفعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة ربهم، وتولّيهم عنها.

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال". رواه البخاري[4].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال:" ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدِّق، كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما، فجعل المتصدِّق كلَّما تصدَّق بصدقة انبسطت عنه، حتى تغشي أنامله وتعفو أثره، وجعل البخيل كلَّما همَّ بصدقة قلصت، وأخذتْ كل حلقة مكانها، قال: فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بإصبعه في جيبه، فلو رأيتُه يُوسِّعها ولا تُوسع". رواه البخاري ومسلم[5].

---

(١) آل عمران: ١٨٠.

(٢) آل عمران: ١٨٠.

(٣) الحديد: ٢٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٦) برقم (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير باب من غزا بصبي للخدمة.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٤١) برقم (٢٩١٧) كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم والقميص في الحرب. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٨) برقم (١٠٢١) كتاب الزكاة باب مثل المنفق والبخيل.

ومن آثار البخل والشح:

١- الشحُّ من صفات المنافقين: قال الله تعالى في وصف المنافقين: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[(١)].

٢- الشحُّ أسوأ صفات الإنسان: قال السعدي: أشحَّة على الخير الذي يُراد منهم، وهذا شرُّ ما في الإنسان، أن يكون شحيحًا بما أمر به، شحيحًا بماله أن ينفقه في وجهه، شحيحًا في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله، شحيحًا بجاهه، شحيحًا بعلمه، ونصيحته ورأيه[(٢)].

٣- الشح سببٌ الخسران في الدنيا والآخرة: قال تعالى:﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(٣)].

قال السعدي: لعلَّ ذلك شامل لكلِّ ما أُمر به العبد، ونُهي عنه، فإنَّه إن كانت نفسه شحيحة، لا تنقاد لما أُمرت به، ولا تخرج ما قبلها؛ لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة[(٤)].

والخلاصة: أنَّ البخل مذموم وأن البخيل محروم ولو امتلك كنوز الدنيا كلها، دخل الحسن البصري على بخيل يحتضر، فرآه ينظر إلى صندوق في بيته، ثم قال: يا أبا سعيد، ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤدِّ منها زكاةً، ولم أصِلْ منها رحمًا؟ قال الحسن: ثكلتك أمك، ولِمَ كنْتَ تجمعُها؟ قال: لروعة الزمان، وجَفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة. ثم مات، فلما فرغوا من دفنه؛ قال الحسن- رحمه الله-: انظروا إلى هذا المسكين، أتاه شيطانه فحذّره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، ومكاثرة عشيرته، عمَّا رزقه الله إياه وغمره فيه[(٥)].

---

(١) الأحزاب: ١٩.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٦١).

(٣) الحشر: ٩.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٦٨).

(٥) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٦٥). التذكرة الحمدونية، المؤلف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.



٨ جمادى الثانية

التحذير من الجدال والمراء

إن من أكثر مداخل الشيطان التي يجد للناس منها مدخلًا إليهم الجدال، وذلك لأن كل واحد من المتجادلين يريد أن يثبت حجته، ويدحض حجة خصمه، ويظهر ضعفه، وربما حقر رأيه، وسفه حلمه، وكثيرًا مَا يُصاحب ذلك دفع الحق وعدم قبوله، فيكون قد وقع في الكبر باحتقار مَن أمامه، وبطر الحق، فيكون الجدال سببًا للقطيعة بينهما مع ما يجده كلُّ واحد منهما من الضغينة والحقد بسبب الجدال.

والجدال والمراء في القرآن الكريم وفي دين الله تعالى؛ قد عدَّهُ صاحب الزواجر من الكبائر، فقال: الكبيرة التاسعة والستين: الجدال والمراء، وهو المخاصمة والمحاجة، وطلب القهر والغلبة في القرآن أو الدين، فعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنه صلى الله عليه وسلم قال:" لا تجادلوا في القرآن؛ فإنَّ جدالًا فيه كفر". أخرجه أبو داود الطيالسي(١)(٢).

وقد ورد ذم الجدال والمراء والنهي عنهما في القرآن الكريم؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾(٣). وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(٤).

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(٥).

وقال السعدي: ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادِل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يُجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٤/ ٤٣) برقم (٢٤٠٠). مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ٥٤٥).

(٢) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢٠٢).

(٣) البقرة: ١٩٧.

(٤) الحج: ٨.

(٥) العنكبوت: ٤٦.

الحقِّ وتحسينه، وردٍّ عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق مُوصِّل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحبِّ العلو، بل يكون القصد بيان الحقِّ وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله؛ لأن المقصود منها ضائع[١].

وعن أبي أمامة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما ضلَّ قوم بعد هُدىً كانوا عليه إلَّا أُوتوا الجدل. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾[٢] رواه الترمذي[٣].

وهناك العديد من الأسباب والدوافع التي تُؤدِّي إلى المراء والجدال:

١- التربية الخاطئة من قِبل الشيخ والمربِّي على الجدال تلقيًّا؛ كتعلُّم فنِّ الجدال والمناظرة قبل أوانه، أو اقتداءً وتقليدًا؛ كرؤية وتتبُّع سلوكه في خطابه ومناظراته.

٢- ضحالة التحصيل العلمي والمعرفي، وضعف الرسوخ في أصول ونصوص الكتاب والسُّنَّة.

٣- الكِبر والغرور، فلا تسمح له نفسُه بالإذعان للحق الذي عرَفه واتَّضح له.

٤- إعجاب المرء بنفسه وبما حصَّله من علوم ومعارفَ، وغرورُه بالمكانة الوهمية التي تحصَّل عليها.

٥- الجهل بالذات وقدرها، وبالآخرين ومكانتهم، فينظر إليهم على أنهم جهلة لا يعلمون شيئًا.

٦- حب الانتصار والانتقام من الآخرين حسدًا وحقدًا عليهم، وقد كان الشافعيُّ- رحمه الله- يقول:" ما كلَّمتُ أحدًا قطُّ إلَّا أحببتُ أن يُوفَّق ويُسدَّد ويُعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما كلمتُ أحدًا قطُّ إلَّا ولم أبالِ بيَّن اللهُ الحقَّ على لساني أو لسانِه"[٤].

٧- فراغ القلب مِن تقوى الله ومعرفته، وبالتالي يحصل التشويش على الحق والصواب.

٨- الغفلة عن العواقب المترتبة على الجدال والمراء.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٣٢).

(٢) الزخرف: ٥٨.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٤٩٣) برقم (٢٢١٦٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٣٧٨) برقم (٣٢٥٣) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة الدخان. وابن ماجه في سننه (١/ ١٩) برقم (٤٨) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب اجتناب البدع والجدل. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ١٢٠).

(٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٥٠). الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.



ومن آثار الجدال والمراء غير المحمود أنه من فضول الكلام الذي يُعاب عليه صاحبُه، وقد يُؤدِّي الجدال الباطل إلى تكفير الآخرين أو تفسيقهم، كما يُذكي العداوة، ويُورث الشقاق بين أفراد المجتمع. وقد يقود صاحبه إلى الكذب، وإلى التطاول والتراشق بالألسنة، ويُؤدِّي بالمجادِل إلى إنكار الحقِّ وردِّه.

أمَّا عن كيفية العلاج من هذا المرض الخطير فبأمور منها:

١- تربية النفس على محبة الله وتوحيده ومعرفته، والسعي لتحصيل مرضاته.

٢- القيام بواجب النصيحة، والتحلِّي بآدابها؛ بحيث تؤتي ثمارَها في توجيه المناظر إلى الجدال بالتي هي أحسن.

٣- سَعْي المربي الجاد إلى تربية مريديه وأتباعه على حب الحق والوصول إليه بالمعرفة المتواصلة لأحكام الشريعة السمحاء.

٤- الابتعاد عن تعلم فن الجدال والمناظرة قبل اكتمال الأهلية في العلم، فإن كان ولا بدَّ من الجدال؛ فالواجب التأدُّب بآداب الجدال التي بيَّنتْها كتبُ الدعوة إلى الإسلام.

٥- غَرْس مفاهيم احترام الآخرين وتقديرهم، ولو اختلفت الأفكار والأقوال، والابتعاد عن مفهوم إلغاء المخالفين.

٦- تعويد النفس على الجرأة والشجاعة في الاعتراف بالخطأ وقَبول الحق من أي أحد.

٧- الابتعاد عن الأفراد المتعصِّبين والذين يُحبُّون الخوض بالباطل، وكذلك الامتناع عن مناقشة مثل هؤلاء الأشخاص؛ حيث سيجرُّ الإنسان إلى الجدال والمراء وإن كان غير قاصد لذلك.

الخلاصة: إن الجدال في القرآن الكريم وفي دينِ الله كبيرةٌ من الكبائر، أما إذا كان لإحقاق الحق وإبطال الباطل، فهذا مطلوب، إذا استكمل المرءُ أدواته ومقدماته؛ حتى لا يخذل الحق فينهزم أمام جيوش الباطل.

فإيَّاكَ إيَّاكَ المِراءَ فإنَّهُ ... إلى الشرِّ دَعَّاءٌ وللصَّرمِ جَالبُ[1]

قال قيس بن السَّائب: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي في الجاهلية، فكان خيرَ شريك، فكان لا يُدارِي ولا يماري[2].

---

(١) البيت للصاحب بن عباد، ينظر: الدر الفريد وبيت القصيد (٥/ ١٢٨). الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١٤٥) برقم (١٥٢٢). المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين — القاهرة.



وقال معاذ بن جبل- رضي الله عنه-:" إذا أحببتَ رجلًا فلا تُمارِه، ولا تُشَارِه، ولا تَسْأَلْ عَنهُ أحَدًا، فَعَسى أن توفِي لهُ عَدُوًّا، فيخبرَك بما ليسَ فيهِ، فيفرِّقَ ما بينَك وبينَهُ"[١]. وقال لقمان لابنه:" يا بُنيَّ؛ لا تُمارِيَنَّ حكيمًا، ولا تُجادِلَّنَّ لجوجًا، ولا تُعاشِرَنَّ ظلومًا، ولا تُصاحِبَنَّ مُتَّهَمًا"[٢].

لنـا صَـاحِبٌ مُولـعٌ بِالخِـلافِ كثيرُ المـــراءِ قليلُ الصَّـــوَابِ
أشـدُّ لجاجًـا من الخنفســاءِ وأزهى - إذا ما مشى - مِن غُرابِ[٣]

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص: ١٦٣) برقم ٢٠٠.

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٩٤، بترقيم الشاملة آليا). بهجة المجالس وأنس المجالس، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ).

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص: ٤٣٥). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار المعارف – القاهرة.



٩ جمادى الثانية

التحذير من الجفاء

الجفاء مظهر من مظاهر سوء الخلق، وصفة ذميمة تورث الوحشة والتفرقة بين الناس، وتقطع ما أمر الله تعالى به أن يُوصَل، فكم من بيت تهدَّم وخرب بسببه، وكم من نفرة وجفوة بين الأحبة حدثت بسبب الخرق في المعاملة، وغلظة الطبع، وترك الرفق في الأمور.

والجفاء قد يكون تطبُّعًا، وقد يكون طبعًا، وكلاهما سيئ، والمؤمن الحق يتدارك نفسه بالابتعاد عن صوره وأسبابه.

فما هو الجَفَاء؟ هو الغِلَظ في العِشْرَة، والخُرْق في المعاملة، وترك الرِّفق في الأمور. قال المباركفوري: الجَفَاء: غِلَظ الطَّبع[١]، وقال العيني: الجَفَاء هو: الغِلَظ في الطَّبع لقلَّة مخالطة النَّاس[٢]. وقال يحيى بن معاذ: حقيقة المحبَّة لا يزيدها البرُّ، ولا ينقصها الجفاء[٣].

وقد ذَمَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم الجَفَاء ونهى عنه؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:" الحياء مِن الإيمان، والإيمان في الجنَّة، والبَذَاء مِن الجَفَاء، والجَفَاء في النَّار". رواه الترمذي[٤].

ففي هذا الحديث؛ بيَّنَ المصطفى صلى الله عليه وسلم أنَّ الإيمان والحياء مترابطان متلازمان، وهما معًا يقودان صاحبهما إلى الجنَّة، وفي المقابل فإنَّ البَذَاء- وهو فُحْش القول والسَّيِّئ منه— متلازم مع الجَفَاء، فهو صِنْوُه الذي لا يفارقه، وهما يسوقان صاحبهما إلى النَّار.

---

(١) تحفة الأحوذي (١/ ٥٧). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/ ٩٦). عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت.

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١٧). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٦/ ٣٠٥) برقم (١٠٥١٢). والترمذي في جامعه (٤/ ٣٦٥) برقم (٢٠٠٩) أبواب البر والصلة باب ما جاء في الحياء. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٠) برقم (٤١٨٤) كتاب الزهد باب الحياء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٨٩٣).

وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:" مَن سكنَ البادية جَفَا، ومَنِ اتَّبع الصَّيد غفل، ومَن أتى السُّلطان افتُتِن". رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني[١].

وفي هذا الحديث يُبيِّنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سببًا مِن أسباب الجَفَاء والغِلْظَة في الطَّبع والمعاملة، وهذا السَّبب هو السُّكنى في البادية والعيش فيها؛ لما في ذلك مِن بُعدٍ عن النَّاس، والبُعد عن معاشرتهم التي تُولِّد الرِّقة في القلب، والعطف في المعاملة، وكذلك لأنَّها تُؤدِّي إلى البُعد عن مواطن العلم ومجالس الذِّكر.

قال السيوطي:" مَن سكن البادية جَفَا". أي: غَلُظ طبعه، وصار جافيًا بعد لطف الأخلاق؛ لفقد مَن يُروِّضه ويُؤدِّبه[٢]. وقال المباركفوري: وهو الغالب على سُكَّان البوادي؛ لبُعدهم عن أهل العلم، وقلَّة اختلاطهم بالنَّاس، فصارت طباعهم كطباع الوحوش[٣].

وقال ابن تيمية- رحمه الله-: فيه أنَّ سُكنى القرى يقتضي مِن كمال الإنسان في رِقَّة القلب وغيرها ما لا تقتضيه سُكنى البادية، فهذا الأصل موجب كون جنس الحاضرة أفضل مِن جنس البادية، وقد يتخلَّف المقتضي لمانع[٤].

قال مالك بن أنس- رضي الله عنه-: ما قلَّت الآثار في قوم إلَّا كَثُرَت فيهم الأهواء، وإذا قلَّت العلماء ظهر في النَّاس الجَفَاء[٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٦١) برقم (٣٣٦٢). وأبو داود في سننه (٣/ ١١١) برقم (٢٨٥٩) كتاب الصيد باب في اتباع الصيد. والترمذي في جامعه (٤/ ٥٢٣) برقم (٢٢٥٦) أبواب الفتن باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٤٧٥) برقم (٤٨٠٢) كتاب الصيد، اتباع الصيد. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٦/ ٣٥٩).

(٢) قوت المغتذي على جامع الترمذي (٢/ ٥٤٧). قوت المغتذي على جامع الترمذي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، إعداد الطالب: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي، الناشر: رسالة الدكتوراة - جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ.

(٣) تحفة الأحوذي (٦/ ٤٤٠).

(٤) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٤١٥). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٥) صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام (ص: ٩٦). صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام (مطبوع معه: جهد القريحة في تجريد النصيحة)، المؤلف: جلال الدين السيوطي، المحقق: : الدكتور علي سامي النشار، السيدة سعاد علي عبد الرازق، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية.



وقال سفيان الثوري: إيَّاكَ ومجالسةَ أهل الجَفَاء، ولا تصحب إلَّا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلَّا تقيٌّ، ولا تصاحب الفاجر ولا تجالسه(١).

وعن محمَّد بن إسحاق السَّرَّاج، قال: كتب إليَّ ابن أبي الدُّنيا مِن بغداد: يا أخي؛ عزيزٌ عليَّ جفاء مثلك، وما أنت إلَّا كما قيل:

أتجفو خليلًا لمْ يَخُنكَ مودَّةً ... عزيزٌ علينا أن نراكَ كذالكَ(٢)

ومن صور الجَفَاء:

١- جفاء الإنسان ربَّه: وهو مولاه والمطَّلع عليه، ويُحدِّثنا ابن القيّم عن هذا النَّوع مِن أنواع الجَفاء، فيقول: أمَّا قوله: والصَّبر عن الله جَفَاء، فلا جَفَاء أعظم ممَّن صبر عن معبوده وإلهه ومولاه، الذي لا مولى له سواه، ولا حياة له ولا صلاح ولا نعيم إلَّا بمحبَّتِه والقرب منه، وإيثار مرضاته على كلِّ شيء، فأيُّ جفاء أعظم مِن الصَّبر عنه(٣).

وقال بعض الحكماء: لا تجف ربَّك، بأن تشتغل بخدمة غيره مِن المخلوقين(٤).

٢- جفاء النبي صلى الله عليه وسلم: ومِن ذلك أنَّه لا يُصلِّي عليه إذا ذُكِر عنده، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رَغِم أَنْف رَجُل ذُكِرْتُ عنده فلَمْ يُصَلِّ عليَّ ". رواه الترمذي(٥).

٣- جفاء الوالدين، بالتَّأفُّف وغِلَظ القول لهما، أو قطعهما ونحوه، وهذا مِن أعظم الجَفَاء وأشدِّه، بل هو العقوق بعينه، إذ كيف يجفو المرء مَن كانا سببًا في وجوده، ومَن تعبا على تربيته، وبَذَلا

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٤٧). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٣/ ٨٢٩). الإرشاد في معرفة علماء الحديث، المؤلف: أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: ٤٤٦هـ)، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد — الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٥١). عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٤) ينظر: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٣٧١).

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٤٢١) برقم (٧٤٥١). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٠) برقم (٣٥٤٥) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٤٥).



جهدهما مِن أجل راحته. بل عدَّ السَّلف مناداة الرَّجل لوالده باسمه مُجرَّدًا مِن الجَفَاء، قال طاوس: مِن الجَفَاء أن يدعو الرَّجل والده باسمه[1]؛ فكيف بمَن يعاملهما بما هو أشدُّ مِن ذلك سوءًا؟!

٤- ومِن صور الجَفَاء المتفشِّية في المجتمع: جفاء الرَّجل زوجته وأبناءه، وذلك مِن أعظم أسباب الفراق وتفكُّك الأُسر، فتجده إذا دخل بيته تغيَّرت صورته، وعلا صوته، فنهر هذا، وضرب ذاك، وربَّما يكون ذلك بدون سبب أو مُبرِّر، فيتحوَّل البيت مِن سكن إلى حجيم، ومِن طمأنينة إلى قلق وإزعاج، وكلُّ ذلك بسبب جفاء الرَّجل وقسوة طبعه.

يقول ابن السعدي: وكذلك رحمة الأطفال الصِّغار، والرِّقَّة عليهم، وإدخال السُّرور عليهم مِن الرَّحمة، وأمَّا عدم المبالاة بهم، وعدم الرِّقَّة عليهم؛ فمِن الجَفَاء والغِلْظَة والقسوة، كما قال بعض جُفاة الأعراب حين رأى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه يُقبِّلون أولادهم الصِّغار، فقال ذلك الأعرابي: إنَّ لي عشرة مِن الولد ما قبَّلتُ واحدًا منهم، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم:" أَوَ أَمْلِكُ لكَ شيئًا أن نزع الله مِن قلبك الرَّحمة؟!". رواه البخاري ومسلم[2][3].

وقال ابن عثيمين: أمَّا ما يفعله بعض النَّاس مِن الجَفَاء والغِلْظَة بالنِّسبة للصِّبيان، فتجده لا يُمكِّن صبيَّه مِن أن يحضر على مجلسه، ولا أن يُمكِّن صبيَّه مِن أن يطلب منه شيئًا، وإذا رآه عند الرِّجال انتهره، فهذا خلاف السُّنَّة، وخلاف الرَّحمة[4].

الخلاصة: أن الجَفَاء خلق مذموم وهو من ضعف الإيمان وقلَّة العلم، وهو من تزيين الشَّيطان، وربما يكون عن حسد؛ فإنَّه إذا شاع الحسد بين النَّاس، وحسد بعضهم بعضًا زال الخير عنهم، وحلَّ الجَفَاء، واشتعلت نار الفتنة، وعمَّتهم المصيبة والمحنة.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٢٩١) برقم (٧٥١٠). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧) برقم (٥٩٩٨) كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٨) (٢٣١٧) كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

(٣) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (ص: ١٨٩). بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٤) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٥١). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.



لذا علينا النُّصح والتَّوجيه لمن اتَّصف بهذه الصِّفة، والمعاتبة بالحسنى حتى يرعوي، وقديمًا قال بعض الحكماء: العتاب علامة الوفاء، وسلاح الأكفاء، وحاصد الجَفَاء[١]. وقال أبو حاتم البستي: إنَّ مِن أعظم الجَفَاء ترك العتاب[٢].

وقد يكون الحلُّ أحيانًا؛ مقابلة الجَفَاء بالجَفَاء، فإنَّ بعض النَّاس قد يكون هيِّنًا ليِّنًا، رقيق الطَّبع غير جافٍ، إلَّا أنَّ جفاء الجفاة قد يُحوِّلُه إلى جافٍ مِن باب المقابلة بالمثل، حاله في ذلك كحال القائل:

مِن البرِّ أن تلقى الجَفَاءَ بِمِثلِهِ   لِيعطفَ مَن يَجفو على وَصْلِ صَاحِبِهِ[٣]

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ١٥٥، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٨٢).

(٣) الدر الفريد وبيت القصيد (٩/ ٣٢٠).

١٠ جمادى الثانية

التحذير من الجزع

مَن في هذه الدنيا يخلو من الابتلاءات أيًّا كان نوعها؟ ومَن في هذه الدنيا صفت له الحياة من كل جوانبها؟ حتى الأنبياء والمرسلون لم يسلموا من ابتلاءاتها ومنغصاتها؛ فليست الدار الدنيا دارًا للراحة الكاملة أو السعادة الدائمة، ما على هذا طُبعتْ، ولا على ذلك خُلقتْ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾[١].

فما هو الجزع؟ الجَزَع: هو إظهار ما يلحق المصَاب مِن المضَض والغَمِّ[٢]. وقيل: هو حُزْن يَصْرِف الإنسان عمَّا هو بصدده ويَقْطَعه عنه[٣].

والجَزَع على قسمين: ١- الجَزَع في الخطايا. ٢- الجَزَع في المصائب.

وفي ذلك يقول سعيد بن جبير عندما سُئل عن الجَزَع، فقال: الجَزَع على نحوين؛ أحدهما في الخطايا، أن يجزع الرَّجل إليها، والآخر في المصائب، فأمَّا جزع المصيبة: فهو ألَّا يحتسبها العبد عند الله، ولا يرجو ثوابها، ويرى أنَّه سوءٌ أصابه، فذلك الجَزَع، ويفعل ذلك وهو مُتجلِّدٌ لا يبين منه إلَّا الصَّبر[٤].

والفرق بين الجَزَع ورِقَّة القلب: قال ابن القيِّم: إنَّ الجَزَع ضعفٌ في النَّفس، وخوفٌ في القلب، يمدُّه شدَّة الطَّمع والحرص، ويتولَّد مِن ضعف الإيمان بالقَدَر، فمتى عَلِم أنَّ المقَدَّر كائنٌ- ولا بدَّ- كان الجَزَع عناءً محضًا ومصيبة ثانية. أمَّا رِقَّة القلب فإنَّها مِن الرَّحمة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرَقَّ النَّاس قلبًا، وأبعدهم مِن الجَزَع، فرِقَّة القلب رأفةٌ ورحمةٌ، وجَزَعُه مرضٌ وضعفٌ، فالجَزَع حال قلبٍ مريضٍ بالدُّنيا، قد غشيه دخان النَّفس الأمَّارة، فأخذ بأنفاسه، وضيَّق عليه مسالك

---

(١) البلد: ٤.

(٢) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٠١). الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(٣) الكليات (ص: ٣٥٤). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، سنة النشر: بدون.

(٤) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٩). الصبر والثواب عليه، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) المتوفى ٢٨١ هـ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الآخرة، وصار في سجن الهوى والنَّفس، وهو سجنٌ ضيِّق الأرجاء، مظلم المسلك، فانحصار القلب وضيقه يجعله يَجْزَع مِن أدنى ما يُصيبه ولا يحتمله، فإذا أشرق فيه نور الإيمان واليقين بالوعد، وامتلأ مِن محبَّة الله وإجلاله، رَقَّ وصارت فيه الرَّأفة والرَّحمة، فتراه رحيمًا رقيق القلب بكلِّ ذي قُرْبَى ومسلم، يرحم النَّملة في جُحرها، والطَّير في وَكْرِه، فضلًا عن بني جنسه، فهذا أقرب القلوب مِن الله تعالى(١).

وعلى الإنسان أن يعلم أن الجزع وصف ذميم، يزيد الشامتين شماتة، ويزيد الأعداء تمكُّنًا من الإنسان، ولن يُحقِّق له أيَّ هدف من أهدافه، ولن يُوصله إلى أيِّ مستوى من المستويات التي يطلبها؛ ولهذا كان أهل الجاهلية يتجلَّدون لأعدائهم، حتى قال أحدهم :

وتَجَلُّدي للشامتين أُريهِمُ ... أَنِّي لريبِ الدهرِ لا أتضعضعُ(٢)

فالجزع لا خير فيه؛ لأنه اعتراض على الله سبحانه وتعالى في قدره وملكه، وكل ما في هذه الدنيا يتصرَّف فيه الباري سبحانه وتعالى تصرُّف المالك في ملكه، فإذا أخذ شيئًا منه فهو الذي منحه من قبل، وهو الذي أخذه بعد ذلك، وذكر لنا سبحانه وتعالى قولَ القائلين: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾(٣).

قال ابن عاشور: وجملة ﴿أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَآ﴾ مِن كلام الذين استكبروا، وهي مستأنفة تُبيِّن عن سؤالٍ مِن الضُّعفاء، يستفتون المستكبرين: أيصبرون أم يجزعون، تطلُّبًا للخلاص مِن العذاب، فأرادوا تأييسهم مِن ذلك، يقولون: لا يفيدنا جَزَعٌ ولا صَبْرٌ، فلا نجاة مِن العذاب(٤).

وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾(٥). قال السعدي- رحمه الله-: فيَجْزَع إن أصابه فقرٌ أو مرضٌ، أو ذهابُ محبوبٍ له، مِن مالٍ أو أهلٍ أو ولدٍ، ولا يستعمل في ذلك الصَّبر والرِّضا بما قضى الله(٦).

قال خبيب بن عدي- رضي الله عنه- للمشركين حين أرادوا قتله: ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، ثمَّ قال:" لولا أن تظنُّوا أنَّ ما بي جَزَعٌ؛ لطوَّلتها". رواه البخاري(١).

---

(١) الروح (ص: ٢٥٠).
(٢) الحماسة المغربية (٢/ ٨٠٤).
(٣) إبراهيم: ٢١.
(٤) التحرير والتنوير (١٣/ ٢١٧). التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
(٥) المعارج: ١٩-٢٢.
(٦) تفسير السعدي (ص: ٨٨٧).



قال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- للأشعث بن قيس: إنَّك إن صبرتَ؛ جرى عليك القلم وأنتَ مأجورٌ، وإن جَزِعتَ؛ جرى عليك القلم وأنتَ مأزورٌ(٢).

قال رجل مِن الحكماء: إنَّما الجَزَع والإشفاق قبل وقوع الأمر، فإذا وقع فالرِّضا والتَّسليم(٣). وقال عمرو بن دينار: قال عبيد بن عمير: ليس الجَزَع أن تدمع العين، ويحزن القلب، ولكن الجَزَع: القول السَّيِّئ والظَّنُّ السَّيِّئ(٤).

قيل للأحنف: إنَّك لصبورٌ على الجَزَع، فقال: الجَزَع شرُّ الحالين؛ يُباعد المطلوب، ويُورث والحسرة، ويُبقي على صاحبه العار(٥).

ومن صور الجَزَع: تمنِّي الموت، وضرب الخدود، وشقُّ الثِّياب، ونشر الشّعر، والدُّعاء بالويل والثُّبور.

ومن الوسائل المعينة على ترْك الجَزَع:

قوَّة الإيمان؛ فعن صهيب- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلَّا للمؤمن، إن أصابتْه سراءُ شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابتْه ضراءُ صبر، فكان خيرًا له". رواه مسلم(٦).

كما أنَّ ذكْر الله تعالى يُعين على الثَّبات في الشَّدائد، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(٧). ذكر القرطبيُّ أقوالًا للعلماء في معنى هذه الآية، منها: اذكروا الله عند جَزَع قلوبكم، فإنَّ ذِكْرَه يُعين على الثَّبات في الشَّدائد(٨).

والخلاصة: أن الجزع من الصفات المذمومة وقد تكون مدعاة لسخط الله سبحانه وتعالى ومقته، إذ هو اعتراض عليه في مُلْكه، وقد رُوي أن الإمام سليمان بن مهران الأعمش كانت له زوجة هو بها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦٧) برقم (٣٠٤٥) كتاب الجهاد والسير باب: هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين عند القتل.

(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٨٨). أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

(٣) الكامل في اللغة والأدب (٤/ ٣٢). الكامل في اللغة والأدب، المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٩٩)

(٥) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٢٥١، بترقيم الشاملة آليا).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٥) برقم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير.

(٧) الأنفال: ٤٥.

(٨) تفسير القرطبي (٨/ ٢٣). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.



مُعجبٌ، فماتت فجأة، فحزن عليها حزنًا شديدًا، واحتجب عن الناس ولم يخرج لتدريس مَن يدرسون العلم، فبينما هو على ذلك جاءت امرأة فاستأذنتْ عليه، فلم يأذن لها، فقالت: إنها لن تبرح الباب حتى يخاطبها، وإنها في ضرورة وأمرٍ ماسٍّ لا بدَّ من إجابة الشيخ فيه. فلما رأى إلحاحها وإصرارها دنا من الباب، فسلَّم فخاطبتْه فقالت: إنَّ لي أختًا كانتْ أعارتني عقدًا ثمينًا، وتمتَّعتُ به مدة من الزمن، ثم بعد هذا أرادتْ أن أعيده إليها، وأنا لا أصبر عنه ولا أقبل ذلك، فقال: أنتِ ظالمة، كيف تُحسن إليك هذه المدة الطويلة بهذا العقد الثمين، وتنتفعين به هذه المدة، ثم بعد ذلك تطلبه وهي مالكته، فتمتنعين من إرجاعه إليها؟ فقالت: أيها الشيخ؛ إن الله سبحانه وتعالى كان قد أسدى إليك أهلك، وهي مِلكٌ له وليست مِلكًا لك، ثم أخذها واستردَّها، فما هي إلَّا وديعة، فكأنَّ الشيخ سُرِّي عنه ما به، فدعا لها وانصرفتْ[1]. وهذا المعنى أخذتْه من قول لبيد بن ربيعة العامري:

وَمَا المالُ وَالأهلُونَ إلَّا وديعةٌ ... ولا بُدَّ يومًا أن تُردَّ الوَدَائِعُ[2]

---

(١) لم أقف على هذه القصة.

(٢) التمثيل والمحاضرة (ص: ٦١).



١١ جمادى الثانية

التحذير من الكِبْر

الكبر كبيرة من كبائر الذنوب؛ وهو أول الذنوب والمعاصي التي ارتُكِبتْ في حق الله تبارك وتعالى، قال الله تعالى مُبيِّنًا سبب امتناع إبليس عن السجود لآدم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[(١)].

والكِبْرُ سببٌ من أسباب هلاك الأمم السابقة؛ فبكبرهم وعِنادهم طغوا وتجبَّرُوا، وظلموا وأفسدوا، وتمرَّدوا على خالقهم، واستنكفوا عن عبادته، وقاتلوا أنبياءه ورسله، وصدُّوا عن سبيله، فحقَّ عليهم العذاب، وجاءهم الهلاك، وحلَّ بهم الدمار. قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۝٣٩ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[(٢)].

فكم من الأمم تكبَّرت وتجبَّرت، ومنعها استكبارها من قبول الحق والإذعان له، فأهلكها الله، وجعلها عبرة لكل متكبِّر جبَّار. وكم في القرآن من القصص، والدروس والعبر. وكم في الواقع الذي نعيشه من أحداث ووقائع، تُبيِّن لنا كيف تكون عاقبة المتكبرين، ونهاية الظالمين.

والكبر سبب في دخول النار والخلود فيها؛ فليعلم المتكبِّر على الله وعلى دينه وعباده؛ أنه يَجرُّ نفسه إلى عذاب الله. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[(٣)].

---

(١) البقرة: ٣٤.

(٢) العنكبوت: ٣٨-٤٠.

(٣) الأحقاف: ٢٠.



وقد جاء تعريف الكبر في الحديث الشريف حيث قال صلى الله عليه وسلم:" لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ". رواه مسلم(١).

وقيل الكبر هو: استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس واستصغارهم، والترفُّع على من يجب التواضع له(٢).

وعن الفرق بين العُجب والكبر؛ يقول الإمام الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في شرحه لـ"رياض الصالحين"فيما جاء في الكبر والإعجاب:الكبر هو الترفُّع واعتقاد الإنسان نفسَه أنه كبير، وأنه فوق الناس، وأن له فضلًا عليهم. والإعجاب هو أن يرى الإنسان عمل نفسِه فيُعجَب به، ويستعظمه ويستكثره. فالإعجاب يكون في العمل، والكبر يكون في النفس، وكلاهما خُلُقٌ مذموم؛ الكِبر والإعجاب.

والكبر نوعان: كبر على الحق، وكبر على الخلْق، وقد بيَّنَهما النبيُّ صلى الله عليه وسلم في قوله:" الكبرُ بَطَرُ الحق، وغمطُ الناس". رواه مسلم؛ فبطر الحقِّ يعني ردَّه والإعراض عنه، وعدم قبوله، وغمطُ الناس يعني احتقارهم وازدراءهم، وألا يرى الناس شيئًا، ويرى أنه فوقهم(٣).

ومن الوسائل المعينة على ترك الكبر والخيلاء: أن يعلم المتكبِّر أن الكبر خلق ذميم، يبغضه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويبغضه كل صاحب عقل سليم وفطرة نقية، وهو خُلُقٌ سيء لا يليق بإنسان عاقل، فضلًا عن مسلم يرجو لقاءَ ربه والدارَ الآخرة، والله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٤).

فكيف تتكبَّر على الله؛ وهو خالقك ورازقك؟ كيف تتكبَّر على عبادة ربك؛ وقد خُلِقتَ من أجلها، وفيها فلاحُك ونجاتك وسعادتك؟ كيف تتكبَّر وفي تكبُّرك على عبادة الله هلاكك وخسرانك؟ وقد حذَّر الله تعالى من ذلك فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٥).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٩٣) برقم (٩١) كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه.

(٢) وهذا تعريف الجاحظ كما في كتابه تهذيب الأخلاق (ص ٣٢). تهذيب الأخلاق، النؤلف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قرأه وعلق عليه: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

(٣) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٣٥). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

(٤) القصص: ٨٣.

(٥) غافر: ٦٠.



وكيف تتكبّرُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهو الذي قد جاءك بهذا الدين العظيم، والقرآن الكريم الذي أنقذك الله به من الكفر إلى الإيمان، وأخرجك به من الظلمات إلى النور؟ كيف تتكبرُ على سنته وهديه؛ وأنت ترجو صحبته، وتتمنى شفاعته؟ وهو القائل صلى الله عليه وسلم:" إنَّ من أحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؛ أحاسنكم أخلاقًا، وإنَّ أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله؛ قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون". أخرجه الترمذي(١).

أيها الإنسان كيف تتكبَّر على خلق الله؟ وأنت لا تدري لعلهم أفضل منك عند الله!! ولعلهم أقرب إلى الله منك!! ولعلهم من أهل الجنة وأنتَ من أهل النار وأنتَ لا تدري!!

وعليك أيضًا أيها المتكبِّر أن تفكِّر في أصلك؛ وهل أصلك إلَّا التراب، ثم من نطفة قذرة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم صرت إنسانًا بعد أن لم تكن شيئا مذكورًا، فوُجودُك مسبوق بالعدم، وقوَّتك مسبوقة بالضعف، وغناك مسبوق بالفقر.

قال تعالى مُذكِّرًا هذا الإنسان المتكبِّر المغرور بأصله؛ حتى لا يصيبه كبر ولا غرور: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾(٢).

فلماذا نسيتَ أصلك أيها الإنسان، وتكبَّرت على ربِّك، وأنكرت فضله عليك، وأصابك العجب والغرور؟ هل خرَجتَ إلى الدنيا من دون فضله؟ وهل مُنِحْتَ السمع والبصرَ والجوارح وسائر النعم لتتكبَّر وتتجبَّر وتكون من المفسدين؟ والله تعالى يُذكِّرك بفضله عليك فيقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٣).

الخلاصة: أخي المسلم؛ كُن متواضعًا؛ فبالتواضع يُرْفَع مقامُك، ويعلو قدرُك، وتنال رضا الله، وتكسب محبة الخلق.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" ما نقصتْ صدقةٌ مِن مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلَّا رفعه الله"(٤).

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٧٠) برقم (٢٠١٨) أبواب البر والصلة باب ما جاء في معالي الأخلاق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٨).

(٢) الطارق: ٥ – ٧.

(٣) النحل: ٧٨.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠١) برقم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب العفو والتواضع.



رفع الله مقامه، وأعلى قدره في الدنيا عند الناس، ورفع مقامه في الآخرة في جنات النعيم.

تَواضَعْ تكُنْ كَالنجمِ لاحَ لنَاظرٍ   على صَفحَاتِ الماءِ وهُو رَفيعُ
وَلَا تكُنْ كَالدُّخَانِ يَعلُو بنفسِهِ   إلى طبقاتِ الجوِّ وهُو وَضيعُ[1]

---

(١) غرر الخصائص الواضحة (ص: ٥٣). غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، المؤلف: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٢ جمادى الثانية

التحذير من الحسد

الحسد هو تمني زوال النعمة عن الآخرين وهو من الأمراض القلبية التي تصيب بعض الناس بسبب الغيرة، وعدم الرضا بالقضاء، فمن الناس من إذا رأى نعمة أنعمها الله عز وجل على أحد من الناس؛ تحركت نفسه الخبيثة، وغيرته القبيحة، وبدأ يكيد له ويمكر به، وكان الواجب عليه أن يدعو لأخيه بالبركة، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ويمنعه عمَّن يشاء، بحكمته وعلمه سبحانه.

فإذا أحسَّ الحاسد بشيء في قلبه على المحسود فليجاهد نفسه، لأن الحسد كبيرة من كبائر الذنوب، يُؤاخَذ عليها العبد ويُحاسَب عليها، لأن في الحسد ضررًا للغير، فإذا لم يفعل أذىً للمحسود، ولا كان سببًا في إزالة نعمة عنه، ولم يتكلَّم في عِرضه، وإنما شيء في نفسه كظمه، فإنه لا يضره، ولكن عليه الحذر، حتى لا يقول شيئًا أو يفعل شيئًا يضر المحسود.

وحقيقة الحسد كما قال الجرجاني: الحسد تمنِّي زوال نعمة المحسود إلى الحاسد[(١)].

وعرَّفه الطاهر بن عاشور؛ فقال: الحسد إحساس نفساني مركَّب من استحسان نعمة في الغير مع تمنِّي زوالها عنه؛ لأجل غيرة على اختصاص الغير بتلك الحالة، أو على مشاركته الحاسد[(٢)].

وقد ورد ذم الحسد والنهي عنه في القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[(٣)].

قال الحسين بن الفضل: إنَّ الله جمع الشرور في هذه الآية، وختمها بالحسد ليعلم أنه أخسُّ الطبائع[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[(٥)].

---

(١) التعريفات (ص: ٨٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٢٩).

(٣) الفلق: ١- ٥.

(٤) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٣٤٠). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٥) البقرة: ١٠٩.



قال ابن عثيمين- رحمه الله-: والآية تدلُّ على تحريم الحسد؛ لأن مشابهة الكفَّار بأخلاقهم مُحرَّمة. والحاسد لا يزداد بحسده إلَّا نارًا تتلظَّى في جوفه؛ وكلما ازدادت نعمة الله على عباده ازداد حسرة؛ فهو مع كونه كارهًا لنعمة الله على هذا الغير مضاد لله في حكمه؛ لأنه يكره أن ينعم الله على هذا المحسود؛ ثم إن الحاسد أو الحسود مهما أعطاه الله من نعمة لا يرى لله فضلًا فيها؛ لأنه لا بدَّ أن يرى في غيره نعمة أكثر مما أنعم الله به عليه، فيحتقر النعمة(١).

وقال سبحانه:﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾(٢).

قال القرطبي: وهذا هو الحسد بعينه الذي ذمَّه الله تعالى(٣).

وقال أيضًا: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وفي السنة النبوية عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا". رواه البخاري ومسلم(٤).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إياكم والحسدَ؛ فإن الحسدَ يأكل الحسناتِ كما تأكل النارُ الحطبَ". رواه أبو داود(٥).

ولقد قسَّم العلماء الحسد إلى عدد من الأنواع، ومنهم ابن القيم الذي قسَّمه إلى ثلاثة أنواع:

١- حسد يُخفيه ولا يُرتِّب عليه أذىً بوجهٍ ما؛ لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك، ولا يعاجل أخاه إلا بما يحبه الله تعالى.

٢- تمنِّي استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله؛ من جهله، أو فقره، أو ضعفه، أو شتات قلبه عن الله، أو قلة دينه.

---

(١) ينظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٥٩). تفسير الفاتحة والبقرة، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٢) النساء: ٥٤.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٥/ ١٦٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٠٦٥) برقم (٥٩٩٨) كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٣) (٢٥٥٨) كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٧٦) برقم (٤٩٠٣) كتاب الأدب باب في الحسد. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٤٠٣).



٣- حسد الغبطة؛ وهو تمنّي أن يكون له مثل حال المحسود، من غير أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة(١).

وقد أجمل الماوردي مضار الحسد في قوله: ولو لم يكن من ذمّ الحسد إلَّا أنَّه خُلُق دنيء، يتوجَّه نحو الأكفاء والأقارب، ويختصُّ بالمخالط والمصاحب، لكانت النزاهة عنه كرمًا، والسلامة منه مغنمًا، فكيف وهو بالنفس مُضرٌّ، وعلى الهمّ مُصِرٌّ، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف، من غير نكاية في عدو، ولا إضرار بمحسود، ثم ذكر مساوئ الحسد فقال:

١- حسرات الحسد وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسرته انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء، قال ابن المعتز: الحسد داء الجسد.

٢- انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة؛ لانحراف الناس عنه، ونفورهم منه، وقد قيل في منثور الحكم: الحسود لا يسود.

٣- مقتُ الناس له حتى لا يجد فيهم مُحِبًّا، وعداوتُهم له حتى لا يرى فيهم وليًّا، فيصير بالعداوة مأثورًا، وبالمقت مزجورًا.

٤- إسخاط الله تعالى في معارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته، إذ ليس يرى قضاء الله عدلًا، ولا لنعمه من الناس أهلًا.

والخلاصة: الحسد خلق ذميم، حالق للدين، مُفرِّق للأصحاب، فيه تشبُّه بالكافرين؛ من النصارى واليهود والمشركين، فوجب على كل مسلم الحذر منه وعدم التخلُّق به، بل مَن وجد في نفسه شيئًا من ذلك فعليه أن يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء والتضرُّع ليزيل ما به مَن حسد. لأن الحسد تسخُّط على قضاء الله تعالى، واستدراك على الله تعالى في حكمه وقدرته، والله تعالى حكم عدل، لا يظلم مثقال ذرة، يُعطي ويَمنع، فمن أُعطي شكر، ومن مُنع صبر، والصبر منزلة عظيمة لا يؤتاها أي إنسان، بل هو سبيل إلى الجنة ورضا الرحمن جل جلاله.

ولا يوجد أحد يحسد غيره ابتغاء مرضاة الله، بل في ذلك سخط الله تعالى، فكل حاسد لا يرجو إلا الدنيا وزينتها، وما يوهب له منها، من رفعة وذكر، ولقد أوتي قارون وفرعون وهامان، وأبو لهب وأبو جهل من الصيت ما لم ينله أحد من العصاة، لكنه ذكر سيء، عندما حسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله، فالحسد طريق إلى النار، والعياذ بالله.

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٦١) وما بعدها. بدائع الفوائد، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد العمران، دار النشر: دار عالم الفوائد، البلد: بدون، الطبعة: بدون، سنة الطبع: بدون.



إِنْ شِئتَ قَتلَ الحَاسِدينَ تَعمُّدًا ... مِنْ غَيرِ مَا ديَةٍ عليكَ وَلَا قَوَدْ
وَبغَيرِ سُمٍّ قاتلٍ وصَوارِمٍ ... وعِقابِ رَبٍّ لَيسَ يَغفلُ عَنْ أحَدْ
عَظِّمْ تجاهَ عيونِهم مَحْسوَدَهمْ ... فتَراهُمُ مَوتى النُّفوسِ مَعَ الجَسَدْ
ذَوْبُ المعَادِنِ باللَّظى لكنَّما ... ذَوْبُ الحسودِ بِحَرِّ نيرانِ الحَسَدْ
مَا زَالَ إنْ حيًّا وإِنْ ميتًا ... ضَنِيً مُتَعذِّبًا فيه إِلى أَبَدِ الأبَدْ[1]

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٢/ ٤٦٢، بترقيم الشاملة آليا).

١٣ جمادى الثانية

التحذير من الحقد

للحقد معانٍ كثيرة؛ منها أنّه الضغن والانطواء على البغضاء، وحفظ العداوة في القلب والتربص لفرصتها[١]؛ حيث إنّ الحقد يقود إلى التسبُّب بالضرر للشخص المحقود عليه بأيِ وسيلةٍ كانت، فالشخص الحاقد ينتظر الفرصة المناسبة ليستطيع الانتقام من الشخص الذي يحقد عليه.

ويختلف حكم الحقد في الإسلام حسب السبب الباعث له؛ فهو عندما يكون من دون حقٍ فإنّه مذمومٌ شرعًا لأنّه يُورث البغضاء والكره، والعداوة بين الناس، فبعض الناس يحقدون على الآخرين دون سببٍ، وإنما الغيرة منهم هي الدافع الأول، وقد ذمَّ الله تعالى المنافقين الذين يُظهرون الود للمسلمين، وما إنْ يغيبوا يتغلغل الحقد في قلوبهم، قال تعالى:﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾[٢].

وقيل هو: إضمار الشر للجاني إذا لم يتمكَّن من الانتقام منه، فيُخفي ذلك الاعتقاد إلى وقت إمكان الفرصة[٣]. إنَّ الحقد على ظالمٍ- حيث يكون المظلوم غير قادرٍ على أخذ حقه أو ملاحقة الظالمِ لأسبابٍ كضعف حيلة المظلوم، أو جبروت الظالِمِ- لا يُعدُّ مذمومًا في الشرع، ولكنْ عندما يظفر هذا المظلوم بالظالم فيمكنُ له أنْ يأخذ حقه منه أو العفو وذلك أفضل، وأن لا يبقى في قلبه حقد، قال تعالى ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾[٤].

ومن الناس مَن يحمل نفسًا مُظلمة، وقلبًا أسود، لا يعرف للعفو طريقًا، ولا للصفح سبيلًا، فبمجرد أدنى إساءة تقع في حقه من أحد إخوانه؛ تجده يحقد عليه، ولا يكاد ينسى إساءته مهما تقادم العهد عليها، فتجده يتربَّص بصاحبه الدوائر، وينتظر منه غرَّة، لينفذ إليه منها، ويصيبه من خلالها، فيشفي غيظه، ويروي غليله.

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٨/ ٥). الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ).

(٢) آل عمران: ١١٩.

(٣) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠/ ٤٤٣٠). نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة.

(٤) الشورى: ٤١-٤٢.



ومن ذمّ الحقد في القرآن الكريم؛ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[١]. وقوله أيضًا: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾[٢].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: وهذا من كرمه وإحسانه على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجودًا في قلوبهم، والتنافس الذي بينهم؛ أن الله يقلعه ويزيله حتى يكونوا إخوانًا مُتحابّين، وأخلاء متصافين، ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم. فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فُقدت أسبابه[٣]. ولما كانت الجنة دار سعادة، ونعيمًا عامًّا وشاملًا؛ كان لا بدَّ لأصحابها من أن يكونوا مُبرَّئين من كل حقد وغل، ومن كل علة خُلُقية تُسبِّب لهم آلامًا وأكدارًا، وقد وصف الله تعالى أهل دار النعيم يوم القيامة بأنهم مُبرَّؤون من كل غل، وما كان من غل في صدورهم في الدنيا؛ فإن الله ينزعه منها متى دخلوا الجنة[٤].

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال:" كنا جلوسًا مع رسول صلى الله عليه وسلم، فقال: يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو- رضي الله عنه-، فقال: إني لاحيتُ أبي، فأقسمتُ أني لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيتَ أن تؤويني إليك حتى تمضي؛ فعلتَ. قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يُحدِّث أنه باتَ معه تلك الثلاث الليالي، فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار- تقلَّب على فراشه- ذكر الله عز وجل، وكبَّر حتى صلاة الفجر. قال

---

(١) البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٢) الحجر: ٤٧ – ٤٨.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٢٨٩).

(٤) موسوعة الأخلاق الإسلامية (٢/ ٢٣٦). الكتاب: موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف. الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.



عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلَّا خيرًا، فلما مضت الثلاث الليالي، وكدتُ أن أحتقر عمله، قلتُ: يا عبد الله؛ لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجرة، ولكن سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعتَ أنتَ الثلاث المرات، فأردتُ أن آوي إليك، فأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك عملتَ كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما هو إلا ما رأيتَ، فلما وليتُ دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيتَ، غير أني لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشًّا ولا أحسدُ أحدًا على خيرٍ أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغتْ بك". رواه أحمد(١).

وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يُبلِّغني أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئًا، فإني أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر". رواه أبو داود(٢).

وعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنه- قال:" قيل: يا رسول الله؛ أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد" .رواه ابن ماجه(٣).

وقد سُئل الشيخ ابن باز- رحمه الله- عن جزاء مَن يحقد على الناس، ويكره الخير للغير؟

فأجاب: عليه التوبة إلى الله، فالواجب على المسلم أن يحبَّ الخير لإخوانه، ويكره لهم الشر، ولا يجوز له أن يحقد على أحد بغير الحق، ولا أن يحسده، ولا أن يحب له السوء، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". رواه البخاري ومسلم(٤). فالواجب على المسلم أن يُحبَّ لإخوانه الخير والهدى والصلاح، وأن يكره لهم كل

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ١٢٤) برقم (١٢٦٩٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٦٥) برقم (٤٨٦٠) كتاب الأدب باب في رفع الحديث من المجلس. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٦٠).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٩) برقم (٤٢١٦) كتاب الزهد باب الورع والتقوى. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٢١٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٣) كتاب الأدب باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٧) (٤٥) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.



شر، وألا يحقد عليهم، ومن وجد من نفسه أنه يكره الخير لإخوانه فهذا مرضٌ في قلبه، فعليه التوبة إلى الله من ذلك[١].

الخلاصة: أنه يُمكن الاستشفاء من الحقد بأمور، منها:

أولًا: الدُّعاء؛ لقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[٢].

ثانيًا: صوم ثلاثة أيام مِن كلِّ شهر؛ فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:" صوم شهر الصبر وثلاثة أيامٍ مِن كل شهرٍ يُذْهبن وَحَر الصدر". رواه البَزَّار[٣].

ثالثًا: إفشاء السلام؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" أفلا أنبئكم بشيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم". رواه الترمذي[٤].

رابعًا: الصفح والعتاب؛ لقول ابن الرومي:

الحِقْــدُ دَاءٌ دَفِــينٌ لَا دَوَاءَ لَــهُ ... يَبْرِي الصُّدُورَ إِذَا مَا جَمْرُهُ حُرِثَا

فَاسْتَشْفِ مِنْهُ بِصَفْحٍ أَوْ مُعَاتَبَةٍ ... فَإِنَّمَا يُبْرِئ المِصْــــدُورَ مَا نفثَا[٥]

---

(١) التحذير من الحقد والحسد للشيخ ابن باز.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ١٦٨) برقم (٢٣٠٧٠). والبزار = البحر الزخار (٢/ ٢٧١) برقم ٦٨٨ والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٧٠٩).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) (٥٤) كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها. ولفظه: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»

(٥) ديوان المعاني (١/ ١٣٢). ديوان المعاني، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت.

١٤ جمادى الثانية

التحذير من الخبث

إنَّ مكارم الأخلاق تُملي على الإنسان أن يكون واضحًا في تعامله مع الناس، ومُحِبًّا للجميع، وتاركًا الرياء والنفاق، وكثيرًا ما يتسبب لجوء الشخص إلى الأساليب المعوجة والأخلاق السيئة؛ في زعزعة ثقة الناس به، وزيادة الأحقاد والضغائن في المجتمع، كلجوئه للخبث الذي يلهي الناس عن منافع حياتهم وضرورياتها.

والخُبْث: هو إضمار الشَّرِّ للغير، وإظهار الخير له، واستعمال الغِيلة والمكر والخديعة في المعاملات(١).

والآيات التي تُحذِّر من الخبث في القرآن الكريم كثيرة؛ منها قول الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾(٢). قال قتادة في تفسير هذه الآية: الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل(٣). وقال مجاهد: القول السيئ للخبيثين من الرجال والنساء، والقول الحسن للطيبين من الرجال والنساء(٤). وقيل في الخبيثات للخبيثين ثلاثة أوجه: الأول: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال، والثاني: الخبيثات من السيئات للخبيثين من الرجال، والثالث: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال(٥).

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾(٦)، قال الطبري: يعني بقوله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ما كان الله ليدع المؤمنين عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ من التباس المؤمن منكم بالمنافق، فلا يعرف هذا من هذا ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ يعنى

---

(١) وهذا تعريف الجاحظ كما في كتابه تهذيب الأخلاق (ص ٣٣).

(٢) النور: ٢٦.

(٣) موسوعة التفسير بالمأثور (١٥/ ٥٢٦). موسوعة التفسير المأثور، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المشرفون: أ.د.مساعد بن سليمان الطيار- د. نوح بن يحيى الشهري، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي- دار ابن حزم — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩هـ— ٢٠١٧م.

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٤٩١). تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٥) ينظر: تفسير ابن فورك (١/ ١٣٣). تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة، المؤلف: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، الناشر: جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(٦) آل عمران: ١٧٩.



بذلك: حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ وهو المنافق المستسر للكفر مِنَ الطَّيِّبِ، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان، بالمحن والاختبار، كما مُيِّز بينهم يوم أُحُدٍ عند لقاء العدو عند خروجهم إليهم(١).

وأيضًا قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(٢). قال الإمام ابن القيم في كتابه القيم" الوابل الصيب": وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال، والمآكل والمشارب، ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض، فيركمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله، فليس فيها إلا خبيث(٣).

والأحاديث التي تُحذِّر من الخبث في السُّنَّة النَّبويَّة كثيرة؛ منها قوله صلى الله عليه وسلم:" لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ(٤) نَفْسِي". رواه البخاري ومسلم(٥). قال ابن القيم: فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ الخبث؛ لبشاعته، وأرشدهم إلى العدول إلى لفظ هو أحسن منه، وإن كان بمعناه تعليمًا للأدب في المنطق، وإرشادًا إلى استعمال الحسن، وهجر القبيح من الأقوال، كما أرشدهم إلى ذلك في الأخلاق والأفعال(٦).

وعن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم بالليل بحبل فيه ثلاث عقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإذا قام فتوضأ انحلت عقدة، فإذا قام إلى الصلاة انحلت عقده كلها، فيصبح نشيطًا طيب النفس قد أصاب خيرًا، وإن لم يفعل أصبح كسلًا خبيث النفس لم يصب خيرًا".. رواه البخاري ومسلم(٧). قال ابن حجر: قوله: (خبيث النفس) أي: رديء النفس غير طيبها أي

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٦٢).

(٢) الأنفال: ٣٧.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٢٠). الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

(٤) اللقس هو الشراسة وشدة الخلق. شرح مشكل الآثار (١/ ٣٢١).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٤١) برقم (٦١٧٩) كتاب الأدب باب لا يقل خبثت نفسي. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦٥) (٢٢٥٠) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب كراهة قول الإنسان خبثت نفسي.

(٦) الطرق الحكمية (ص: ٤١). الطرق الحكمية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة دار البيان، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٧) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٢) برقم (١١٤٢) كتاب التهجد باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٨) (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح. ولفظه كما في البخاري:

مهمومًا، وقد تستعمل في كسل النفس، وفي الصحيح (لا يقولّنَّ أحدُكم: خبثتْ نفسي) كأنه كره اللفظ، والمراد بالخطاب المسلمون[١].

ومن صفات الشخص الخبيث أنه يتصف بصفات كثيرة سيئة، منها أنه: يسعى إلى تصيُّد عيوب الآخرين، ويتدخَّل بشؤون غيره من الناس، ينافق وينشر الشائعات والأقاويل، ويتسبَّب بفتنة الناس وفُرقتهم، يضيق خُلقه بأبسط المواقف والأمور، ولا يحتمل انتقاد الآخرين، وفي حال تقبَّلَها فإنَّه يفعل ذلك بخُبث، تتعب نفسيته وتهبط معنوياته من أبسط المواقف التي يواجهها، وذلك لأنَّه كثير الظنِّ بالسوء.

ولكن هل يستطيع الخَبِيث أن يُغيِّر طبعه؟ يرى المناويُّ أنَّ مَن تمحَّضت فيه مادَّة الخُبْث لا مطمع في تبدُّله، فيقول: يقال: إذا حُدِّثتَ أنَّ جبلًا زال عن مكانه فصدِّق، وإذا حُدِّثت أنَّ رجلًا زال عن خُلُقِه فلا تصدِّق؛ وذلك لأنَّ مَن تمحَّضت فيه مادَّة الخُبْث، فقد طُبِع على الخُلُق المذموم، الذي لا مطمع في تبدُّله، ومَن تمحَّضت فيه مادَّة الطِّيب، فقد طُبِع على الخُلُق الحسن المحمود، الذي لا مطمع في تبدُّله. قال الشَّريف السَّمهودي: وقد جرَّبتُ مصداقه الآن، فكم أظهر الواحد منهم التَّوبة عن أخلاقٍ ذميمةٍ بعد بذل الجهد في أسباب إزالتها، ثمَّ نكص على عقبيه، راجعًا لما كان عليه؛ لاقتضاء خبثهم المستحكم، وعظيم بغضهم لأهل الخير.

وأنشد بعضهم:

وَمَـا هـذه الأخـلاقُ إلَّا طبـائعُ ... فمـنهنَّ محمـودٌ ومـنهنَّ مُـذمَّمُ
ولن يســتطيعَ الدَّهرَ تغييرَ خُلقِهِ ... لئيمٌ ولن يَسـتطيعَهُ مُتكـــرَّمُ[٢]

والخلاصة: أنَّ الإنسان مطالب بتزكية نفسه لإكسابها الفضائل وتخليصها من الرذائل والخبائث، ومَن اجتهد وجاهد نفسه على التَّخلُّق بالأخلاق الفاضلة؛ يستطيع أن يُعوِّد نفسه عليها؛ وعليه أن يأخذ بالأسباب والوسائل التي تُعينُ على التَّخلُّص مِن هذا خُلُق الخبث، وهي كثيرة، ومِن هذه الوسائل:

«يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل، فارقد فإن استيقظ فذكر الله، انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٤١).

(٢) فيض القدير (٢/ ٥٢٣). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى — مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

١- الدُّعاء بأن ينزع الله منه هذا الخُلُق السَّيِّئ: فالدُّعاء مِن أقوى الأسباب المعينة على التَّخلُّص مِن هذه الصِّفة المذمومة.

٢- الرَّغبة في الأجر والثَّواب الذي يحصل بسبب سلامة الصَّدر: وقد جاء الحديث في فضل سلامة الصدر ونقاء الطوية، مِن كون صاحبِها من أهل الجنة.

٣- أن يُجاهد نفسه على أن يكون نقيَّ القلب: عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: قيل: يا رسول الله؛ أيُّ النَّاس أفضل؟ قال:" كلُّ مَخْمُومِ القلبِ صدوقِ اللِّسانِ، قالوا: صدوق اللِّسان نعرفه، فما مَخْمُوم القلب؟ قال: هو التَّقيُّ النَّقيُّ، لا إثم فيه ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ ولا حَسَدَ". رواه ابن ماجه[1].

٤- التَّربية منذ الصِّغر على حبِّ الخير للنَّاس: كما قال الشاعر:

عـذرتُكَ يَا إنسـانُ إنْ كنتَ مُغْرَمًا ... بِعُـذرٍ ومُغـرَىً بالتَّحيُّـلِ والنَّكْـثِ
وكيفَ ألومُ المـرءَ في خُبْثِ فعلِهِ ... وأوَّلُ شيءٍ قد غـذاهُ دمُ الطَّمْثِ[2]

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٩) برقم (٤٢١٦) كتاب الزهد باب الورع والتقوى. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٢١٦).

(٢) يتيمة الدهر (٤/ ٣٥٧). يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: د.مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

١٥ جمادى الثانية

التحذير من الخداع

قال ابن القيّم: المخادعة هي الاحتيال والمراوغة بإظهار الخير مع إبطان خلافه، ليحصل مقصود المخَادِع[١].

والفرق بين الخِدَاع والمكر كما قال الرَّاغب الأصفهاني: المكر والخَدِيعَة متقاربان، وهما اسمان لكل فعل يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره، وذلك ضربان: أحدهما مذمومٌ، وهو الأشهر عند النَّاس والأكثر، وذلك أن يقصد فاعله إنزال مكروه بالمخْدُوع، والثَّاني: بعكسه، وهو أن يقصد فاعلهما إلى استجْرَار المخْدُوع والممكور به إلى مصلحة لهما، كما يُفعَل بالصَّبي إذا امتنع مِن فعل خير[٢].

والخِدَاع مِن خُلُق المنافقين، وهو مُتأصِّلٌ فيهم، فهم يُخادعون الله ويُخادعون المؤمنين، ويُخادعون أنفسهم، قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[٣]. قال الشوكاني: والمراد مِن مخادعتهم لله: أنَّهم صنعوا معه صُنْع المخادعين، وإن كان العالِمِ الذي لا يَخفى عليه شيء لا يُخْدَع، وصيغة فاعل تفيد الاشتراك في أصل الفعل، فكونهم يُخادعون الله والذين آمنوا، يفيد أنَّ الله سبحانه والذين آمنوا يُخادعونهم. والمراد بالمخادعة مِن الله أنه لما أجرى عليهم أحكام الإسلام مع أنَّهم ليسوا منه في شيء، فكأنَّه خادعهم بذلك كما خادعوه بإظهار الإسلام وإبطان الكفر، مُشَاكَلة لما وقع منهم بما وقع منه. والمراد بمُخادعة المؤمنين لهم: هو أنَّهم أجرَوا عليهم ما أمرهم الله به مِن أحكام الإسلام ظاهرًا، وإن كانوا يعلمون فساد بواطنهم، كما أنَّ المنافقين خادعوهم بإظهار الإسلام وإبطان الكفر[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[٥].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٣٤٠). إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٢) ينظر: الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ٢٥٤). الذريعة إلى مكارم الشريعة، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام — القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٣) البقرة: ٩.

(٤) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٨). فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

(٥) النِّساء: ١٤٢.



قال السعدي: يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه، مِن قبيح الصِّفات وشنائع السِّمات، وأنَّ طريقتهم مُخادعة الله تعالى، أي: بما أظهروه مِن الإيمان وأبطنوه مِن الكفران، ظنُّوا أنَّه يَروج على الله، ولا يعلمه، ولا يُبديه لعباده، والحال أنَّ الله خادعهم، فمجرَّد وجود هذه الحال منهم ومشيهم عليها، خداعٌ لأنفسهم. وأيُّ خِدَاعٍ أعظم ممَّن يسعى سعيًا يعود عليه بالهوان والذُّل والحرمان؟!![(١)]

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا ذكر للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه يُخْدَع في البيوع، فقال:" إذا بايعتَ فقل: لا خِلابة". رواه البخاري ومسلم[(٢)].

قال النَّوويُّ: معنى لا خِلَابة: لا خَدِيعَة، أي: لا تحلُّ لك خَدِيعتي، أو لا يلزمني خديعتك[(٣)].

ولقد عدَّه بعض أهل العلم كابن حجر الهيتمي مِن الكبائر، إذ كون المكْر والخَدِيعَة في النَّار ليس المراد بهما إلَّا أنَّ صاحبهما فيها، وهذا وعيد شديد.

وقال الإمام ابن تيمية: فإذا كان الله تعالى قد حرَّم الخِلَابة وهي الخَدِيعَة، فمعلومٌ أنَّه لا فَرْق بين الخِلَابة في البيع وفي غيره؛ لأنَّ الحديث إن عمَّ ذلك لفظًا ومعنًى فلا كلام، إن كان إنَّما قصد به الخِلَابة في البيع، فالخِلَابة في سائر العقود والأقوال وفي الأفعال بمنزلة الخِلَابة في البيع، ليس بينهما فَرْقٌ مؤثر في اعتبار الشَّارع، وهذا القياس في معنى الأصل، بل الخِلَابة في غير البيع قد تكون أعظم، فيكون مِن باب التَّشبيه وقياس الأولى[(٤)].

لكن استُثْنِي مِن الخِدَاع إذا كان لمصلحة شرعيَّة كالحرب، والإصلاح بين النَّاس، فعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قال: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم:" الحرب خَدْعَة " رواه البخاري[(٥)].

قال النَّووي: واتَّفق العلماء على جواز خِدَاع الكفَّار في الحرب، وكيف أمكن الخِدَاع، إلَّا أن يكون فيه نقض عهدٍ أو أمانٍ فلا يحلُّ، وقد صحَّ في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء، أحدها:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢١١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٦٥) برقم (٢١١٧) كتاب البيوع باب ما يكره من الخداع في البيع. ومسلم في صحيحه (٣/ ١١٦٥) (١٥٣٣) كتاب البيوع باب من يخدع في البيع.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٠/ ١٧٧).

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ١٥٥). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦٤) برقم (٣٠٣٠) كتاب الجهاد والسير باب الحرب خدعة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٦١) (١٧٣٩) كتاب الجهاد والسير باب جواز الخداع في الحرب.



في الحرب؛ قال الطَّبري: إنَّما يجوز مِن الكذب في الحرب المعاريض دون حقيقة الكذب، فإنَّه لا يحلُّ. هذا كلامه، والظَّاهر إباحة حقيقة نفس الكذب، لكن الاقتصار على التَّعريض أفضل[١]، وقد استخدم الصَّحابة الخِدَاع في الحرب في مواقف عديدة.

ومن صور الخداع:

١- خِدَاع المنافقين بإظهارهم للإسلام وإبطانهم للكفر: قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[٢].

٢- الخِدَاع في المعاملات الماليَّة، كالبيع والشِّراء: وذلك بأن يُخَادع النَّاس، ويتحصَّل على الأموال بطُرُقٍ محرَّمةٍ، إمَّا عن طريق الكذب، أو كتمان عيب السِّلعة، أو البخس في ثمنها، أو التَّطفيف في وزنها، أو خلط الجيِّد بالرَّديء، أو النجش وغيرها مِن الطُّرق المحرَّمة.

٣- خِدَاع الرَّعيَّة للرَّاعي: ويكون ذلك بمدحه وإطرائه بما ليس فيه؛ كأن يذكروا له إنجازات لم يعملها، أو بعدم نصحه إذا رأوا منه منكرًا، وغير ذلك.

٤- خِدَاع الرَّاعي للرَّعيَّة: ويُقصَد به الرَّئيس أو الحاكم أو المدير، والرَّجل في أهله، وغيرهم ممَّن لهم الرِّعاية على غيرهم، ويكون الخِدَاع في حقِّهم بظلمهم، وعدم إعطائهم ما يستحقُّونه، وعدم النُّصح لهم.

٥- خِداع المرَائين بالأعمال: فهم يُشابهون المنافقين في عملهم لأجل النَّاس.

٦- خِداع العمَّال: بعدم إعطائهم أجرهم المتَّفق عليه، أو تكليفهم مِن الأعمال فوق طاقتهم.

٧- خداع المتسوِّلين والشحَّاذين: فبعض المتسوِّلين يخدعون من يسألونه المال بحيث يظهرون بمظهر المرضى والمعتوهين، وذوي الاحتياجات الخاصة، وهم ليسوا كذلك، ليستجلبوا عطف الناس عليهم، ويأخذوا أموالهم بلا وجه حق.

٨- خداع النفس لصاحبها: قد تخدع النفس الأمارة بالسوء صاحبها إذا هو همَّ بالخير، فتقعده وتثبطه.

وانخِدَاع الشخص للمُخَادِع يُعتبر مِن البَلَه، إلَّا إذا كان المخْدُوع متفطِّنٌ للحيلة التي حيكت ضدَّه، ففي هذه الحالة يُعْتَبر الانخِداعُ مِن الكَرَم، قال ابن عاشور: إظهار الانخِدَاع مع التَّفطُّن للحيلة إذا كانت غير مُضِرَّة فذلك مِن الكرم والحِلْم، قال الفرزدق:

استمطروا مِن قريش كلَّ مُنْخَدِع   إنَّ الكريم إذا خادعتَه انخدعَا[٣]

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٤٥)

(٢) البقرة: ٩.

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٢٧٤).

الخلاصة: أن الخِدَاع خلق ذميم وله آثارٌ وأضرارٌ تعود على المخَادِع نفسه، وعلى المجتمع الذي مِن حوله، ومِن هذه المضَار أن الخِدَاع دليلٌ على ضعف إيمان صاحبه، والخِدَاع سببٌ مِن أسباب الفُرْقَة بين المسلمين، كما أنَّه طريق موصل للنَّار، وكفى أنَّه صفة مِن صفات المنافقين، ويتسبَّب الخداع في أكل أموال النَّاس بالباطل، ويولِّد ضعف الثِّقة بين أفراد المجتمع، ويولِّد أيضًا الشَّحناء والبغضاء بين النَّاس، ويترتَّب عليه نقض المواثيق والعهود بين النَّاس، وبهذا يصير المخَادِع منبوذًا عند الله وعند النَّاس.

١٦ جمادى الثانية

التحذير من الخذلان

يُعتبر الخذلان إحساسًا مُؤلِمًا، يضم عدة مشاعر مُزعجة تعصف بصاحبه؛ كخيبة الأمل، والإحباط الشديد، والذي قد ينجم عن تعرضه للمُعاناة والأذى بسبب الآخرين، أو بفعل استيائه من نفسه، أو نتيجة تلقيه صدمةً قويَّة كالخيانة، أو الإحساس بالوحدة وعدم وجود شخصٍ يثق به ويستند عليه، أو إيمانه المبالَغ فيه بالآخرين، الأمر الذي يجعله يبني سقف توقعات مُرتفعًا. ويتمنَّى من الآخرين الكثير، فلا يوازن بين ما يريده ويتمنَّاه، وبين واقع وشخصيَّة الطرف الآخر، فينتهي الأمر بسقوطه ضحيَّة حسن ظنه، وقد يكون الخذلان من أصعب المواقف التي تمر في حياة المرء، والتي تنعكس عليها العديد من الآثار السلبية، لكنه لا يعني توقُّف الحياة وانتهاءها. فالسعادة لا تدوم، والحياة مليئة بالعقبات والمواقف التي- وإن سببت له الألم والأذى- فهي تُقوِّيه، وتزيد من رصيد خبرته، وتجعله يحسن الظن والاختيار.

والخذلان هو ترْك مَن يُظنُّ به أن ينصرَه نُصرَتَه[(١)].

وقد ورد ذم الخذلان في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾[(٢)]، قال ابن كثير: مَخْذُولًا لأنَّ الرَّبَّ تعالى لا ينصرك، بل يَكِلُك إلى الذي عبدتَ معه، وهو لا يملك لك ضرًّا ولا نفعًا؛ لأنَّ مالك الضرِّ والنَّفع هو الله وحده لا شريك له[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٤)]. قال أبو حيان الأندلسيُّ:" وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ" قيل: تُعِزُّ بالتَّوفيق والعِرْفَان، وتُذِلُّ بالخِذْلَان[(٥)].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره". رواه مسلم[(٦)]. قال النووي: وأمَّا "لا يَخْذُله" فقال العلماء: الخَذْل: ترك

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٧٧).

(٢) الإسراء: ٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٦٤).

(٤) آل عمران: ٢٦.

(٥) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٨٦). البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٨) (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.



الإعانة والنَّصر، ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه؛ لزمه إعانته إذا أمكنه، ولم يكن له عذر شرعيٌّ[١].
شرعيٌّ[١].

وعن أنس- رضي الله عنه- أنَّ أبا طلحة قال: "غشينا ونحن في مصافِّنا يوم أحد"، حدَّث أنَّه كان فيمن غشيه النُّعاس يومئذ، قال: فجعل سيفي يسقط مِن يدي وآخذه، ويسقط مِن يدي وآخذه، والطَّائفة الأخرى- المنافقون- ليس لهم همٌّ إلَّا أنفسهم، أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحقِّ". رواه البخاري[٢].

وقيل لمحمد بن كعب القرظي: ما علامة الخِذْلَان؟ قال: أن يستقبح الرَّجل ما كان عنده حسنًا، ويستحسن ما كان عنده قبيحًا[٣].

وقال علي بن عبيدة: العقل والهوى ضدَّان فمؤيِّد العقل التَّوفيق، وقرين الهوى الخِذْلَان، والنَّفس بينهما، فأيهما ظفر كانت في حيِّزه[٤].

وقال قتيبة بن مسلم: ومَن تبجَّح بالانفراد، وفَخَر بالاستبداد؛ كان مِن الظَّفر بعيدًا، ومِن الخِذْلَان قريبًا[٥].

وقال الماوردي: قال بعض البلغاء: المخْذُول مَن كانت له إلى اللِّئام حاجة[٦].

وخِذْلَان المسلم لأخيه المسلم حرام شرعًا، وذلك مثل أن يَقْدِر على دفع عدوٍّ يريد البطْش به، فلا يدفعه، أو يراه وهو يرتكب مخالفة شرعية ولا ينهاه، وقد عدَّه ابن حجر الهيتمي من الكبائر. قال المناوي: خِذْلَان المؤمن حرام شديد التحريم؛ دنيويًّا كان مثل: أن يَقدر على دفع عدوٍ يريد البطش به فلا يدفعه، أو أخرويًّا: كأن يَقْدِر على نُصْحِه مِن غيِّه فيتركه[٧].

---

(١) من تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على مسلم. ينظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٢٠) ومعه تعليقات الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) رواه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه (٥/ ٢٢٩) برقم (٣٠٠٨) أبواب تفسير القرآن باب: ومن سورة آل عمران. ورواه البخاري في صحيحه مختصرًا (٦/ ٣٨) برقم (٤٥٦٢) كتاب تفسير القرآن باب قوله "أمنة نعاسًا".

(٣) رواه أبو نعيم حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢١٤).

(٤) ينظر: تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك (ص: ٤٢). تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، الناشر: دار النهضة العربية – بيروت، سنة النشر: بدون.

(٥) جمهرة الأمثال (١/ ١٦٦). جمهرة الأمثال، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

(٦) أدب الدنيا والدين (ص: ١٩٤).

(٧) ينظر: فيض القدير (٥/ ٤٧١).

ومن أهم صور الخِذْلَان:

١- خِذْلان المظلوم: وقد عدَّها الهيتمي مِن الكبائر، وقال: الكبيرة السَّادسة والسَّابعة والثَّامنة والتَّاسعة والأربعون والخمسون بعد الثَّلاثمائة: ظُلْم السَّلاطين والأمراء والقضاة وغيرهم مسلمًا أو ذِمِّيًّا بنحو أكل مال أو ضرب أو شتم أو غير ذلك، وخِذلان المظلوم مع القُدْرَة على نصرته، والدُّخول على الظَّلَمة مع الرِّضا بظلمهم وإعانتهم على الظُّلم والسِّعَاية إليهم بباطل(١).

٢- الخِذْلَان في الجهاد: خِذْلَان المسلمين في الجهاد وعدم نصرتهم صفة مِن صفات المنافقين، قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٢).

والخلاصة: أن الخذلان هو فقد الإعانة والنصر والإغاثة، وعلينا معرفة أسباب الوقوع في الخِذْلَان حتى نتجنبها، فمنها:

١- طاعة الكافرين والمنافقين: قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(٣).

٢- مفارقة الإخوان: قال الماورديُّ: مَن لم يرغب في الإخوان بُلِيَ بالعداوة والخِذْلَان(٤).

٣- الركون إلى الظَّالمين: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾(٥).

٤- العُجْبُ: فالعُجْبُ طريقٌ إلى خِذْلَان المرء، بحيث يَكِل الله العبد إلى نفسه فلا ينصره، وقد قال جلَّ وعلا: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾(٦).

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ١٨٩).

(٢) آل عمران: ١٦٧-١٦٨.

(٣) الأحزاب: ٤٨.

(٤) أدب الدنيا والدين (ص: ١٦٤).

(٥) هود: ١١٣.

(٦) التوبة: ٢٥.



٥- الجبن وسوء الرَّأي: قال ابن القيِّم: وصحَّة الرَّأي لقاح الشَّجَاعَة، فإذا اجتمعا كان النَّصر والظَّفر، وإن قعدا فالخِذْلَان والخيبة(١).

٦- عدم الرِّضا بالقضاء والقدر: قال الماورديُّ: معاند القَدَر مَخْذُولٌ(٢).

٧- قطع الأرحام: قال الماورديُّ: تعاطف الأرحام، وحميَّة القرابة يبعثان على التَّناصر والألفة، ويمنعان من التَّخاذل والفُرْقة(٣).

٨- التَّعلُّق بغير الله: قال ابن القيِّم: فأعظم النَّاس خِذْلَانًا مَن تعلَّق بغير الله، فإنَّ ما فاته مِن مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم ممَّا حصل له ممَّن تعلَّق به، وهو معرَّضٌ للزَّوال والفوات. ومثل المتعلِّق بغير الله، كمثل المستظلِّ مِن الحرِّ والبرد ببيت العنكبوت، وهو أوهن البيوت(٤).

٩- القرب مِن السِّفْلَة واطِّراح ذوي الأحساب والمروءات: قال الأبشيهيُّ: مَن قرَّب السِّفْلَة واطَّرح ذوي الأحساب والمروءات استحقَّ الخِذْلَان(٥).

١٠- الافتراق والاختلاف في الدِّين، قال تعالَى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾(٦).

قال زهير بن أبي سلمى:

أَلَمْ تَـرَ للنُّعمـانِ كـانَ بنجـوةٍ ... مِـن الشَّـرِّ لـوْ أنَّ امـرأً كـانَ ناجيَـا

فلمْ أرَ مَخذُولًا له مثلُ مُلكِهِ ... أقلَّ صديقًا باذلًا أوْ مُوَاسِيَا(٧)

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٢٠٠).

(٢) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك (ص: ٧٧)

(٣) أدب الدنيا والدين (ص: ١٤٨).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٥).

(٥) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٣٣). المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(٦) الأنفال: ٤٦.

(٧) ينظر: مختارات شعراء العرب لابن الشجري (٢/ ١٢). مختارات شعراء العرب لابن الشجري، المؤلف: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ)، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، الناشر: مطبعة الاعتماد، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م.

١٧ جمادى الثانية

التحذير من الخيانة

إنّ هذا الدّين الحنيف الّذي أكرمنا الله به، جاء بما فيه صلاح الفرد والمجتمع، يجمع كلّ القيم والمثل الإنسانيّة، يدعو إلى فضائل الأخلاق، وينهى عن ذميمها، فما من خصلةٍ من خصال الخير إلّا وأمر بها وحثّ على التّخلّق بها، وما من خصلةٍ من خصال الشّرّ والسّوء إلّا ونهى عنها وحذّر منها، وإنّ من الخصال المذمومة المشؤومة بكلِّ المقاييس والأحوال، والّتي تُسبِّب انعدام الثّقة بين أفراد المجتمع المسلم؛ خصلة الخيانة، وهي خصلةٌ قبيحةٌ لا ترضاها النّفوس السّليمة، وإنّها لكبيرةٌ من كبائر الذّنوب والآثام، ولم يكتف الدّين الحنيف بتحريمها والتّحذير منها، بل وضع خطة متكاملةً دينيَّةً واجتماعيَّةً وتربويَّةً للقضاء عليها واستئصال جذورها، لأنّها من أعظم الأمور خطرًا على الأفراد والمجتمعات، إنّها وصمة عارٍ على جبين كلِّ من اتصَّف بها، فغدا بسببها بعيدًا من الله، بعيدًا من النّاس، ممقوتًا مُهانًا منبوذًا.

قال الراغب: الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر[١]، والأظهر أنها شاملة لجميع التكاليف الشرعية. وقيل: هي الاستبداد بما يُؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحُرُم، وتملُّك ما يُستودع، ومُجاحدة مُودعه[٢].

وقال ابن عاشور: وحقيقة الخيانة عمل مَن اؤتمن على شيء بضد ما اؤتمن لأجله، بدون علم صاحب الأمانة[٣].

وقد ذهب عدد من العلماء كالذهبي وابن حجر الهيتمي إلى أن الخيانة من الكبائر، قال الإمام الذهبي: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٤]، قال الواحدي: نزلت في أبي لبابة– رضي الله عنه–، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لما حاصرهم، وكان أهله وولده فيهم، فقالوا: يا أبا لبابة؛ ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه– أي أنه الذبح فلا تفعلوا – فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال أبو لبابة: فما زالت قدماي من مكاني حتى عرفتُ أني خنتُ الله

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٠٥).

(٢) وهذا تعريف الجاحظ كما في كتابه تهذيب الأخلاق (ص ٣١).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤/ ١١٦).

(٤) الأنفال: ٢٧.



ورسوله صلى الله عليه وسلم. وقوله: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ عطف على النهي، أي: ولا تخونوا أماناتكم، قال ابن عباس: الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفرائض يقول: لا تنقضوها، قال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فمعصيتهما. وأما خيانة الأمانة: فكلُّ واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه، إن شاء خانها، وإن شاء أدَّاها، لا يطَّلع عليه أحدٌ إلا الله تعالى، وقوله: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنها أمانة من غير شبهة.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾[١]، أي: لا يرشد كيد مَن خان أمانته، يعني أنَّه يُفتضَح في العاقبة بحرمان الهداية[٢].

وقد تكرَّر لفظُ الخيانة ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾[٣]. قال الشيخ السعدي: قوله: ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾أي: أي: لا تخاصم عن مَن عرفت خيانته، من مُدعٍ ما ليس له، أو مُنكر حقًّا عليه، سواء علم ذلك أو ظنَّه. ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل، والنيابة عن المبطِل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية[٤].

وأيضًا حذَّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الخيانة بقوله:" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ".رواه البخاري ومسلم[٥].

وعن جابر- رضي الله عنه- قال:" نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلًا يتخوَّنهم، أو يلتمس عثراتهم". رواه البخاري ومسلم[٦].

---

(١) يوسف: ٥٢.

(٢) الكبائر للذهبي (ص: ١٤٩).

(٣) النساء: ١٠٥-١٠٨.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٢٠٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٤) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) (٥٨) كتاب الجهاد والسير باب بيان خصال المنافق.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٧) برقم (١٨٠١) كتاب الحج باب لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٨) (٧١٥) كتاب الإمارة باب كراهة الطروق، وهو الدخول ليلا، لمن ورد من سفر.



قال ابن بطال: فبيَّن النبي- عليه السلام- بهذا اللفظ المعنى الذي من أجله نهى عن أن يطرق أهله ليلًا. فإن قيل: وكيف يكون طروقه أهله ليلًا سببًا لتخوُّنهم؟ قيل: معنى ذلك، والله أعلم، أن طروقه إياهم ليلًا هو وقت خلوة، وانقطاع مراقبة الناس بعضهم بعضًا، فكان ذلك سببًا لسوء ظن أهله به، وكأنَّه إنما قصدهم ليلًا ليجدهم على ريبة، حين توخَّى وقت غرَّتهم وغفلتهم. ومعنى الحديث النهي عن التجسس على أهله، ولا تحمله غيرته على تهمتها، إذا لم يأنس منها إلا الخير(١).

والخيانة جريمةٌ كبيرة، وعقوبتها شديدة، وكُلُّ مَنْ أُسْنِدَ إليه أمرٌ من أمور المسلمين، ولم يقم به، ولم يُؤدِّه على الوجه المطلوب - مع قُدرتِه - فهو خائنٌ غادر؛ لقول النبيِّ- صلى الله عليه وسلم-:" إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ". رواه مسلم(٢).

قال الذهبي- رحمه الله-: الخيانة قَبِيحةٌ في كلِّ شيءٍ، وبعضها شرٌّ من بعض، وليس مَنْ خانك في فَلْسٍ كمَنْ خانك في أهلك ومالِك، وارتكب العظائِم(٣).

إن أمتنا الإسلامية تمرُّ في هذا الزمان بمحَنٍ عظيمة، ونوازلَ شديدة، ونكَبات متلاحقة، ساهم فيها بشدة تعرُّض الأمة لخيانات مُتعدِّدة، تارة من أعدائها، وتارات- وهو أنكى- من أبنائها.

قال الشاعر:

يُخادِعُني العَدوُّ فَلَا أُبَالِي   وَأَبْكِي حِينَ يَخْدَعُني الصَّدِيقُ(٤)

الخلاصة: علينا الحذر من الوقوع في الخيانة، وواجبٌ علينا حماية أنفسنا ومجتمعنا من شرها. ومما يحمي الأفراد والمجتمعات من هذا المرضِ الفتّاك:

أوَّلًا: تدبُّر آيات القرآن الكريم، وأحاديث النّبيِّ صلى الله عليه وسلم الّتي تُحذِّر من الخيانة وتُبيِّن خطرها، وعقاب من تخلّق بها، لنتحلّى بالأمانة، ونتجنّب الخيانة.

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٧/ ٣٦٩). شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٩) (١٧٣٥) كتاب الجهاد والسير باب تحريم الغدر.

(٣) الكبائر للذهبي (ص: ١٤٩).

(٤) البيت للدكتور عبد الرحمن العشماوي من قصيدة له بعنوان: "تنوعت الجراح" https://www.aldiwan.net/poem6787.html.



ثانيًا: التفكّر في نتائج هذا الأمر الّذي تعافه الفطرة السَّليمة، حيث إن الخائن مهما ظنَّ أنّه رفيعٌ يبقى وضيعًا عند الله وعند النّاس، سيِّء السُّمعة في حياته وبعد مماته.

ثالثًا: قراءة سيرة السَّلف الصَّالح الأمناء الّذين أدَّوا الأمانات على أكمل وجهٍ، والتأمُّل في خاتمة الخائنين المجرمين، وكيف ذمَّهم التَّاريخ وحطَّ من قدرهم، فخلّفوا عارًا تتوارثه ذُرِّيَّتهم

من بعدهم، فالتَّاريخ الصَّادق لا يُمجِّد خائنًا، ولا يُعلي له قدرًا، علاوةً على المصير الّذي ينتظره بين يدي الله سبحانه وتعالى.



١٨ جمادى الثانية

التحذير من الذل والهوان

قال ابن عاشور: الذلة: خضوع في النفس، واستكانة من جراء العجز عن الدفع[١]. والهوان مأخوذ من تهوين القدر، وأن يجعل هذا المرء صغير الأمر لا يُبالي به.

وينقسم الذُّل إلى محمود ومذموم: فالذُّل المذموم: وهو التذلُّل لغير الله على وجه الهوان، والضعف والصغار، والانكسار والذلة. والذُّل المحمود: ما قال عنه الراغب الأصفهاني: الذُّل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود[٢].

ويشمل الذُّل المحمود:

١- الذُّل لله سبحانه وتعالى: وهذا الذُّل عنوان العز والشرف، والنصر في الدنيا والآخرة. قال الذهبي: من خصائص الإلهية العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب مع غاية الذُّل، هذا تمام العبودية[٣].

٢- الذُّل للمؤمنين: وهو بمعنى التراحم والتواضع والعطف، وليس بمعنى التذلُّل والانكسار على وجه الضعف والخور. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

٣- الذُّل للوالدين: قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٥]، وقال السعدي: تواضع لهما ذلًّا ورحمة واحتسابًا للأجر؛ لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء لما لهما، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يُؤجَر عليها العبد[٦].

والأسباب التي تُؤدِّي إلى الوقوع في الذلِّ المذموم كثيرة؛ منها:

١- الإشراك بالله تعالى، والابتداع في الدين: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾[٧].

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ١١٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٣٠)

(٣) العرش للذهبي (١/ ١٢١). وهو من كلام المحقق: د/ محمد بن خليفة التميمي وليس من كلام الذهبي.

(٤) المائدة: ٥٤.

(٥) الإسراء: ٢٤.

(٦) تفسير السعدي (ص: ٤٥٦).

(٧) الأعراف: ١٥٢.



٢- محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومخالفة أمرهما: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾(١).

٣- النفاق والاعتزاز بغير الله سبحانه: قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(٢).

٤- استمراء المعاصي: قال تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾(٣).

٥- الكبر والأنفة عن قبول الحق: قال ابن القيم: مَن تعاظم وتكبَّر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به خوفًا ورجاءً والتجاءً واستعانةً؛ فقد تشبَّه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته، وهو حقيق بأن يُهينه غاية الهوان، ويُذلَّه غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه(٤).

٦- اتباع الهوى: قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(٥). قال ابن تيمية: مَن قهره هواه ذلَّ وهان، وهلك وباد(٦). وقال ابن القيم: لكلِّ عبد بداية ونهاية، فمَن كانت بدايته اتباع الهوى؛ كانت نهايته الذُّل والصغار، والحرمان والبلاء، المتبوع بحسب ما اتبع مَن هواه، بل يصير له ذلك في نهايته عذابًا يُعذَّب به في قلبه(٧).

٧- مفارقة جماعة المسلمين: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾(٨).

---

(١) المجادلة: ٢٠.

(٢) المنافقون: ٨.

(٣) آل عمران: ١١٢.

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ١٣٧).

(٥) الجاثية: ٢٣.

(٦) ينظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٤٥٨). غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف : شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ)، الناشر : مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

(٧) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٨٣). روضة المحبين ونزهة المشتاقين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٨) النساء: ١١٥



٨- سؤال الناس والتطلُّع لما في أيديهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه؛ خيرٌ له من أن يسأل الناس؛ أعطوه أو منعوه". رواه البخاري[١].

أَلَا إِنَّما التقوى هي العزُّ والكرَمُ	وحبُّـكَ للـدُّنيا هُـوَ الـذُّلُّ والسّـقَمْ
وليـسَ عَلَى عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ	إذا حقَّقَ التقوى وإنْ حَاكَ أَوْ حَجَمْ[٢]

٩- موالاة الكافرين: قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٣].

الخلاصة: علينا اجتناب الذل والابتعاد عنه لما فيه من آثام، ومن الوسائل المعينة على ذلك:

١- الإيمان بالله والمداومة على العمل الصالح: قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٤].

٢- الاعتزاز بالله، والتمسُّك بدينه: قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: إنَّا كنَّا أذلَّ قوم فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّة بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله[٥].

٣- الدعاء بارتفاع الذُّل وحصول العزِ: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يقول:" اللَّهمَّ إِنِّي أعوذُ بك من الفقرِ والقِلَّةِ والذِّلَّةِ، وأعوذُ بك من أن أظلِمَ أو أن أُظلَمَ". رواه أبو داود[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٢٣) برقم (١٤٧١) كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة.

(٢) الحكم الجديرة بالإذاعة (ص: ٣٢). الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدي الساعة، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار المأمون – دمشق، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٩٩٠م.

(٣) النساء: ١٣٩.

(٤) يونس: ٢٦.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٣٠) برقم (٢٠٧). وصححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١١٨).

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٤١٨) برقم (٨٠٥٣). وأبو داود في سننه (٢/ ٩١) برقم (١٥٤٤) باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستعاذة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ٤٤).

٤- موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصالح المؤمنين: قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

فالعزة لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، ومَن والاهم وسار على هداهم؛ ينتفي عنه ذُلُّ الدنيا والآخرة، ويحصل له عزُّ الدنيا والآخرة.

٥- طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٢) .

٦- الاعتصام بحبل الله ونبذ الخلافات: قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾(٣)، وعن أبي موسى- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إِنَّ المؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وشَبَّكَ أصَابِعَهُ" رواه البخاري(٤)؛ ففي الاتحاد عزة وقوة، وفي التفرُّق ذلٌّ وضعف.

٧- الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية للعز والقوة: قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(٥).

ذَلَّ مَن يغبطُ الذليلَ بعيشٍ ... رُبَّ عيشٍ أخفُّ منهُ الحِمَامُ
مَن يهُنْ يَسهُلِ الهَوانُ عليه ... مَـــا لجُرحٍ بميـــتٍ إيلامُ(٦)

---

(١) المنافقون: ٨.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٠٣) برقم (٤٨١) كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.

(٥) الأنفال: ٦٠.

(٦) الدر الفريد وبيت القصيد (٦/ ١٩٤).

١٩ جمادى الثانية

التحذير من السخرية والاستهزاء

الاستهزاء لغة: هو الاستخفاف والسخرية من الآخرين، والاسْتِهْزَاء بِالشَّئ يعني الِاسْتِهَانَةُ بِهِ، أما الِاسْتِهْزَاءُ بِالشَّخْصِ فيعني احتقاره، وعدم احترامه وعدم الاهتمام بأمره، وكَثِيرًا ما يصحب الاستهزاء السخرية، وهي تعني الضحك الناشيء عَنِ استخفاف شخص واحتقاره لآخر، فمَن قام بمحاكاة أو تقليد شخص في عمله، أو قوله، أو زِيِّه باحتقار فهو بذلك يسخر منه، والسخرية من الآخرين والتعليق على كل صغيرة وكبيرة خلق مذموم.

ومما ورد من ذم السخرية والاستهزاء والنهي عنهما في القرآن الكريم؛ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]، قال ابن كثير: ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، فإنه قد يكون المحتقَر أعظم قدرًا عند الله، وأحب إليه من الساخر منه المحتقِر له، وقوله: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا تلمزوا الناس.والهمَّاز اللمَّاز من الرجال مذموم ملعون، وقوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ أي: لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها[2].

وقال سبحانه: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾[3]، قوله ﴿وَيۡلٞ﴾ أي: وعيد ووبال وشدة عذاب؛﴿ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهمَّاز الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللمَّاز الذي يعيبهم بقوله.

ولقد سجَّل القرآن الكريم عاقبة الساخرين والمستهزئين من المؤمنين، وأخبر أن يوم القيامة سيصبح الساخرون موضع سخرية واستهزاء من طرف عباده المستضعَفين في هذه الدنيا، قال الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾[4].

---

(١) الحجرات: ١١.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٦).

(٣) الهمزة: ١-٤.

(٤) المطففين: ٢٩-٣٤.

وفي السنة النبوية عن أم هانئ- رضي الله عنها- أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت:" قلتُ: يا رسول الله؛ أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾[(١)] ما كان ذلك المنكر الذي كانوا يأتونه؟ قال: كانوا يسخرون بأهل الطريق ويخذفونهم". رواه الترمذي[(٢)].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات-، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وماله، وعرضه". رواه البخاري ومسلم[(٣)].

وحكم الاستهزاء بالله وآياته ورسوله صلى الله عليه وسلم كُفرٌ، يُخرج صاحبه من الملة، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[(٤)]. قال ابن تيمية: وهذا نصٌّ في أنَّ الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر[(٥)]. يقول الإمام السعدي: إن الاستهزاء بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم كفر مخرج عن الدين؛ لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل[(٦)].

---

(١) العنكبوت: ٢٩.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣١٦) برقم (٧٧٦١). والترمذي في جامعه (٥/ ٣٤٢) برقم (٣١٩٠) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة العنكبوت قريبًا من لفظ الحاكم. والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف الإسناد جدًا" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ١٩٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٦) (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.

(٤) التوبة: ٦٤-٦٦.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧٣). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٦) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٤٣).



أما حكم الاستهزاء بالمؤمنين فله حالتان؛ الحالة الأولى: الاستهزاء والسخرية بخَلقهم أو خُلُقهم، وهو مُحرَّمٌ بالإجماع، قال ابن حجر الهيتمي: وقد قام الإجماع على تحريم ذلك[١].

الحالة الثانية: الاستهزاء بالمؤمنين بسبب تمسُّكهم بالإسلام، وهذا يُراعَى فيه أمران: الأمر الأول: أن يكون المستهزئ جاهلًا بأن ما يَستهزئ به من الشريعة الإسلامية.

الأمر الثاني: أن لا يقصد المستهزِئ باستهزائه ما يقوم به المسلم من الطاعات.

فإذا انتفى هذان الأمران، وقصد الاستهزاء بالمسلم بسبب تمسُّكه بالدين؛ فهذا حكمه الردة عن الإسلام، وقد جاء في فتوى اللجنة الدائمة ما يلي: سبُّ الدين والاستهزاء بشيء من القرآن والسنة، والاستهزاء بالمتمسِّك بهما نظرًا لما تمسَّك به، كإعفاء اللحية وتحجُّب المسلمة؛ هذا كُفرٌ إذا صدر من مكلَّف، وينبغي أن يُبيِّن له أن هذا كُفرٌ، فإن أصر بعد العلم فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[٢][٣].

وسئل الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- عن حكم مَن يسخر بالملتزمين بدين الله، ويستهزئ بهم؟ فأجاب بقوله: هؤلاء الذين يسخرون بالملتزمين بدين الله، المنفِّذين لأوامر الله، فيهم نوع نفاق؛ لأنَّ الله تعالى قال عن المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم إن كانوا يستهزئون بهم من أجل ما هم عليه من الشرع فإن استهزاءهم بهم استهزاء بالشريعة، والاستهزاء بالشريعة كفر، أما إذا كانوا يستهزئون بهم يعنون أشخاصهم وزِيَّهم بقطع النظر عما هم عليه من اتباع السنة، فإنهم لا يكفرون بذلك؛ لأنَّ الإنسان قد يَستهزئ بالشخص نفسه بقطع النظر عن عمله وفعله، لكنهم على خطر عظيم[٤].

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٣٣).

(٢) التوبة: ٦٥- ٦٦.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٣٨٧). فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع — الرياض.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ١٥٨). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر : دار الوطن - دار الثريا، الطبعة : الأخيرة - ١٤١٣هـ.

أما سخرية الإنسان ممن يَسخر منه فجائزة، وهذا من العدل؛ لأنه يُقابل السخرية بمثلها، ومع ذلك فتركها أولى، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

الخلاصة: يقول الإمام ابن تيمية: لفظ المكر والاستهزاء والسخرية المضاف إلى الله؛ زعموا أنه مُسمًّى باسم ما يُقابله على طريق المجاز وليس كذلك، بل مُسمَّيات هذه الأسماء إذا فُعلتْ بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلمًا له، وأما إذا فُعلت بمَن فعلها بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلًا، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾[3]، فكاد له كما كادت إخوته لما قال له أبوه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[6] [7].

---

(١) النحل: ١٢٦.

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) يوسف: ٧٦.

(٤) يوسف: ٥.

(٥) الطارق: ١٥- ١٦.

(٦) النمل: ٥٠- ٥١.

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١١١).

٢٠ جمادى الثانية

التحذير من السفه والحمق

السفه والحمق صفتان متلازمتان، فيجب البعد عنهما حتى لا يندم المسلم يوم القيامة، يوم لا ينفع الندم، فعليه بالبعد والحذر من مصاحبة ومجالسة الفسَّاق والفجَّار والأشرار، قال الله عز وجل: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[(١)].

والسَّفيهُ آفةٌ في المجتمع، عالةٌ عليه؛ لأنه لا يعرفُ متى يجبُ أن يتكلَّم ولا متى يجبُ أن يسكُت. فالمجتمعات الجادَّة الواعِية هي تلكم المجتمعات التي تُحسِنُ التعامُل المتكامِل، وتلمَّسُ مواقعَ الخللِ لدى بنِيها والمنتَمين إليها؛ لتشكُر الناجِح وتُكرِّمه، ولتُصلِح المتعثِّر وتُقوِّمه، ومن ذلكم؛أخذُها على أيدي سُفَهائِها، وإصلاح شأنهم، والقضاء على مظانِّ السَّفَه لئلا تغرقَ سفينةُ المجتمع الماخِرة بقضِّها وقضيضِها.

والسَّفَه: نقيض الحِلْم، وهو سرعة الغضب والطَّيش مِن يسيرِ الأمور، والمبادرة في البطش، والإيقاع بالمؤذي، والسَّرف في العقوبة، وإظهار الجزع مِن أدنى ضررٍ، والسَّبُّ الفاحش[(٢)].

وقال ابن القيِّم: السَّفَه غاية الجهل، وهو مركَّبٌ مِن عدم العلم بما يُصْلِح معاشه ومعاده، وإرادته بخلافه[(٣)]. والحُمْق هو: وضع الشَّيء في غير موضعه مع العلم بقُبْحه[(٤)].

قال الزبيري: كنتُ إذا جلستُ إلى الحسن بن صالح رجعتُ وقد نغصَّ عليَّ ليلتي. وكنتُ إذا جلستُ إلى سفيان الثوري رجعتُ وقد هممتُ أن أعمل عملًا صالحًا. وكنتُ إذا جلستُ إلى شريك بن عبد الله رجعتُ وقد استفدتُ أدبًا حسنًا[(٥)].

والآيات والأحاديث التي تحذر من السَّفَه والحُمْق كثيرة منها: قال تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[(٦)]. قال الشَّافعي: السَّفيه: المبَذِّر المفسِد لماله أو في دينه[(٧)].

---

(١) الزخرف: ٦٧.

(٢) وهذا تعريف الجاحظ كما في كتابه تهذيب الأخلاق (ص ٢٩).

(٣) بدائع الفوائد (٤/ ١٥٤١).

(٤) لسان العرب (١٠/ ٦٨). لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٤). تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٦) البقرة: ٢٨٢.

(٧) ينظر: التقييد الكبير للبسيلي (ص ٣٨٣) ولم ينسبه للشافعي. التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت ٣٨٠هـ)، الناشر: كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية.



قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١]. أي:خسروا دينهم وأولادهم وعقولهم، وصار وصْفُهم- بعد العقول الرَّزينة- السَّفه المرْدِي والضَّلال.

وعن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- قال: سمعت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول:" يخرج في آخر الزَّمان أقوامٌ أحداث الأسنان، سُفَهَاء الأحلام، يقولون مِن خير قول البريَّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ قتلهم أجرٌ لمن قتلهم يوم القيامة". رواه البخاري ومسلم[٢].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّها ستأتي على النَّاس سنونٌ خَدَّاعَة، يُصَدَّق فيها الكاذب، ويُكَذَّب فيها الصَّادق، ويُؤْتَمَن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرُّويبضة. قيل: وما الرُّويبضة؟ قال: السَّفيه يتكلَّم في أمر العامَّة ". رواه ابن ماجه[٣].

والسَّفَه ينقسم إلى قسمين:

١- سفه في الأمور الدُّنيويَّة: وهو التَّصرُّف في الأموال بالتَّبذير والإسراف، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[٤].

٢- سفه في الدِّين: قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾[٦].

قال الإمام الغزالي- رحمه الله-: الطباع مجبولة على التشبُّه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه[٧].

---

(١) الأنعام: ١٤٠.

(٢) رواه بهذا اللفظ أحمد في مسنده (٢/ ٥٣) برقم (٦١٦). ورواه بمعناه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٠) برقم (٣٦١١) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٦) (١٠٦٦) كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٢٩١) برقم (٧٩١٢). وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٣٩) برقم (٤٠٣٦) كتاب الفتن باب الصبر على البلاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٣٦).

(٤) النِّساء: ٥.

(٥) البقرة: ١٣.

(٦) البقرة: ١٤٢.

(٧) إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٣). إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.



وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ- رحمه الله-: طول المعاشرة، وكثرة المخالطة لها تأثير ظاهر، وفعلٌ بيِّنٌ في الأخلاق والطباع والشيم، والعقائد والديانات كما هو مُشاهَد محسوس، حتى إن الإنسان قد يسري إليه ما جُبِل بعض الحيوانات عليه(١).

ومِن علامات السَّفيه والأحمق: الشُّح وسوء الخُلُق، وكثرة طلب الحوائج إلى النَّاس، وإنفاق المال على وجه التَّبذير وفيما لا ينبغي، والفُحْش وبذاءة اللِّسان.

قال أبو حاتم: ومِن شيم الأَحْمَق: العجلة، والخِفَّة، والعجز، والفجور، والجهل، والمقت، والوَهَن، والمهابة، والتَّعَرُّض، والتَّحاسد، والظُّلم، والخيانة، والغفلة، والسَّهو، والغيّ، والفُحْش، والفخر، والخيلاء، والعدوان، والبغضاء(٢).

وإنَّ مِن أعظم أمارات الحُمْق في الأَحْمَق لسانه؛ فإنَّه يكون قلبه في طرف لسانه، ما خطر على قلبه نَطَق به لسانه. والأَحْمَق يتكلَّم في ساعة بكلام يعجز عنه سحبان وائل، ويتكلَّم في السَّاعة الأخرى بكلام لا يعجز عنه باقل، والعاقل يجب عليه مجانبة مَن هذا نعتُه، ومخالطة مَن هذه صفتُه؛ فإنَّهم يجترئون على مَن عاشرهم، وأما السَّفيهُ في الأخلاقِ فدواؤُه السكوتُ، ومُتاركتُه بلا جوابٍ أشدُّ عليه من الجوابِ في الغالبِ، سفيهُ الخُلُق إذا ردَدتَ عليه فرَّجتَ عنه، وإذا خلَّيتَه فإنه يموتُ كمَدًا، كما قال عنه الشافعيُّ- رحمه الله-:

يُخاطِبُني السَّفيهُ بكلِّ قُبحٍ ... وأكـرَهُ أن أكـونَ لـهُ مُجيبَـا
يزيدُ سـفاهةً وأزيدُ حِلمًـا ... كعودٍ زادَه الإحـراقُ طِيبًا(٣)

وقال محمد بن إسحاق الواسطي:

لي صديقٌ يرى حقوقي عليه ... نافـلاتٍ وحقَّـه كـان فرضَـا
لو قطَّعتُ الجبالَ طولًا إليه ... ثمَّ مِـن بعـدِ طولِها سـرتُ عرضَـا
لرأى ما صنـعتُ غيرَ كبيرٍ ... واشتهـى أن أزيدَ في الأرضِ أرضَا(٤)

---

(١) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (٢/ ٥٢٨). عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، المؤلف: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (المتوفى: ١٢٩٣هـ)، المحقق: حسين محمد بوا، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢١).

(٣) ديوان الإمام الشافعي (ص: ١١). ديوان الإمام الشافعي، المؤلف : أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى المتوفى عام ٢٠٤هـ.

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١١٩).



والخلاصة: أنه ينبغي على الإنسان أن يتجنب السفه والحمق حتى لا يندم يوم القيامة يوم لا ينفع الندم؛ فعليه بالبعد والحذر من مصاحبة ومجالسة الفسَّاق والفجَّار والأشرار، قال الله عز وجل: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[(١)] قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله-: أي كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل[(٢)]، وقال ابن عباس- رضي الله عنهما- ومجاهد وقتادة: صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين[(٣)].

وقال أحد الحكماء- ولعله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه- يُوصي ولده: يا بُني؛ لا تُصاحبْ خمسة: الكذاب فإنه يُقرِّب إليك البعيد ويُبعد القريب، ولا الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، ولا الجبان فإنه يقطع بك ويفر عند الشدة، ولا البخيل فإنه يقطع بك وأنت أحوج ما تكون إليه، ولا الفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها[(٤)].

---

(١) الزخرف: ٦٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٧).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٣).

(٤) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٤٠٩) قريبًا منه. تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢١ جمادى الثانية

التحذير من الشماتة

خُلُق الشماتة غالبًا ما تقترن به مظاهر كريهة من السخرية والهمز واللمز، وألوان الاستهزاء قولًا وفعلًا وإشارة، ولا شك أن الشامت من كبار الجُهَّال لجهلهِ حقيقة البلاء وجهلهِ حقيقة الدنيا، يعيش بطول الأمل كأن الدنيا تدوم لأحد، ولا يعلم أن الأيام دول، وكل يوم ملك الملوك هو في شأن، من شأنه أن يُحيي ويُميت، ويُعز ويُذل، يرزق قومًا، ويمنع آخرين، يستجيب دعاء، يهدي ضالًّا، يرحم ميتًا، يفك أسيرًا، يرفع أقوامًا، ويضع آخرين.

قال الإمام أبو حامد الغزَّالي: الشَّمَاتَة الفَرَح بالشَّرِّ الواصل إلى غير المستَحِق، ممَّن يعرفه الشَّامت(١).

وقيل: الشَّمَاتَة هي سرور النَّفس بما يصيب غيرها مِن الأضرار، وإنَّما تحصل مِن العداوة والحسد(٢).

وقد ورد ذَمُّ الشَّمَاتَة في القرآن الكريم، قال تعالى:﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣).أي: فلا تفعل بي ما هو أمنيَّتهم مِن الاستهانة بي والإساءة إليَّ، وقُرِئ: {فلا يَشْمَتْ بي الأعداءُ}، على نهي الأعداء عن الشَّمَاتَة. والمراد أن لا يحلَّ به ما يَشْمَتون به لأجله.

وقال أيضًا سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾(٤) وهذا الفَرَح شماتة، والحسد والشَّمَاتَة متلازمان.

ومما ورد من ذم الشماتة في السنة النبوية؛ ما ورد عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه" كان يتعوَّذ مِن سوء القضاء، ومِن درك الشَّقاء، ومِن شَمَاتَة الأعداء، ومِن جهد البلاء". رواه البخاري ومسلم(٥).

أما حُكْم الشَّمَاتَة فلا تجوز بالمسلم؛ لكنها في حق الكفار المحاربين والمنافقين جائزة، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾(٦).

---

(١) ميزان العمل (ص: ٢٨٦). ميزان العمل، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٤هـ.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ١١٧).

(٣) الأعراف: ١٥٠.

(٤) آل عمران:١٢٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٥) برقم (٦٣٤٧) كتاب الدعوات باب التعوذ من جهد البلاء. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٠) (٢٧٠٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

(٦) التوبة: ١٤-١٥.



قال السعدي: فإنَّ في قلوبهم من الحنق والغيظ عليهم؛ ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله- صلى الله عليه وسلم- ساعين في إطفاء نور الله، وزوالًا للغيظ الذي في قلوبهم، وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل- من جملة المقاصد الشرعية- شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم[(١)].

واعلم- أخي المسلم- أن الشَّمَاتَة بالتَّعيير بالذَّنب أعظم مِن مُرْتَكِب الذَّنب: يقول ابن القيِّم في كتابه القيم" مدارج السالكين": إنَّ تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا مِن ذنبه، وأشدُّ مِن معصيته؛ لما فيه مِن صولة الطَّاعة، وتزكية النَّفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة مِن الذَّنب، وأنَّ أخاك باء به، ولعلَّ كسرته بذنبه، وما أحدث له مِن الذِّلَّة والخضوع والإزراء على نفسه، والتَّخلُّص مِن مرض الدَّعوى والكِبْر والعُجْب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرَّأس، خاشع الطَّرف، منكسر القلب؛ أنفع له، وخيرٌ مِن صولة طاعتك، وتكثُّرك بها، والاعتداد بها، والمنَّة على الله وخَلْقِه بها، فما أقرب هذا العاصي مِن رحمة الله، وما أقرب هذا المدِل مِن مقت الله، فذنب تَذِلُّ به لديه أحبُّ إليه مِن طاعة تدلُّ بها عليه، وإنَّك أن تَبِيتَ نائمًا وتصبح نادمًا خيرٌ مِن أن تَبِيتَ قائمًا وتصبح مُعْجَبًا؛ فإنَّ المعْجَب لا يَصْعَد له عملٌ، وإنَّك إن تضحك وأنت معترفٌ؛ خيرٌ مِن أن تبكي وأنت مُدِلٌّ، وأنين المذنبين أحبُّ إلى الله مِن زجل المسبِّحين المدِلِّين، ولعلَّ الله أسقاه بهذا الذَّنب دواءً استخرج به داءً قاتلًا هو فيك ولا تشعر[(٢)].

كما أن الشَّامت قد تنعكس المصيبة عليه: يقول إبراهيم النخعي: إنِّي لأرى الشَّيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلَّم فيه إلَّا مخافة أن أُبْتَلَى بمثله[(٣)].

فالفَرَح بمصيبة العدوِ مذمومٌ جدًّا؛ لكونه سببًا لانعكاس المصيبة عليه بابتلاء مَن شَمَت، وعافية مَن شَمَت عليه، أو لأنَّه ارتكب المنهيَّ عنه، خصوصًا إذا حملها على كرامة نفسه، يعني: يقول الحاقد: إنَّ مصيبة عدوِّي إنَّما هي مِن كرامتي، أو على إجابة دعائه، كأن يقول: ما ابتُلِي به عدوِّي مِن هذه المصيبة؛ إنَّما هو بإجابة دعوتي عليه، لأنَّه حينئذ عُجْبٌ وتزكية نفسٍ وغُرورٌ، بل يجب على الحاقد أن يخاف مِن مصيبة عدوِّه أن تكون مكرًا مِن الله تعالى له، واستدراجًا للحاقد، حيث ابتلى عدوَّه وعافاه، ويجب على الحاقد أن يَحْزَن على احتمال كونه مَكْر الله تعالى، ويجب- أيضًا- أن يدعو الله بإزالة بلائه، ويدعو بأن يُخْلِفه الله تعالى خيرًا ممَّا فات مِن النِّعم بتلك المصيبة. ثمَّ إنَّ هذا الدُّعاء سبب لخلاص الحاقد مِن تلك المصيبة، كما قال الله

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٣١).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٩٥).

(٣) شعب الإيمان (٩/ ١١٨).



تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[١]. والشَّمَاتَة لها تأثيرٌ سلبيٌّ على الفرد والمجتمع؛ فهي تُربِّي الحقد والحسد والعداوة، وهذا أمرٌ معلوم مشهود، كما أنها تُؤدِّي إلى قساوة القلب.

ويكفي أن الشماتة من صفات المنافقين، فقد أظهر اليهود والمنافقون الشَّماتَة بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فحينما وصل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد غزوة أحد؛ أظهر هؤلاء الشَّمَاتَة والسُّرور، وصاروا يُظْهِرون أقبح القول، ومنه قولهم: ما محمدٌ إلَّا طالبُ مُلْك، ما أصيب بمثل هذا نبيٌّ قطُّ؛ أُصيب في بدنه، وأُصيب في أصحابه، ويقولون: لو كان مَن قُتِل منكم عندنا ما قُتِل.

حتى استأذن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في قتل هؤلاء المنافقين، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنِّي رسول الله؟ قال: بلى؛ ولكن تعوُّذًا مِن السَّيف، فقد بان أمرهم، وأبدى الله تعالى أضغانهم. فقال صلى الله عليه وسلم: نُهِيتُ عن قتل مَن أظهر ذلك. وصار ابن أُبَيّ- لعنه الله- يُوبِّخ ابنه عبد الله- رضي الله تعالى عنه- وقد أثبتته الجراحة، فقال له ابنه: الذي صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين خيرٌ[٢].

قال أبو العبَّاس المبرِّد: وهلك أخٌ لبعض الأعراب، فأظهر له الشَّمَاتَة بعضُ بني عمِّه؛ فأنشأ الأعرابيُّ يقول:

ولقـــدْ أقـــولُ لـــذي الشَّـــمَاتَةِ إذ رأى ... جزعي ومَـــن يَذُقِ الفجيعـــةَ يجـــزعِ
اشمتْ فقـــدْ قَـــرَعَ الحوادثُ مَـــرْوَتي ... وافـــرحْ بمروتِكَ التي لَمْ تُقْـــرَعِ
إنْ تبـــقَ تُفْجَـــعْ بالأحبَّـــةِ كلِّهـــمْ ... أَو يُفجَعُوا بِكَ إن بِهِم لم تُفجَعِ[٣]

الخلاصة: الشماتة من مساوئ الأخلاق، والإسلام دين الأخلاق الحميدة، دعا إليها، وحرص على تربية نفوس المسلمين عليها. وقد مدح الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]. فعلى المسلم أن يتجمَّل بحسن الأخلاق، وأن يكون قدوته في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يُظهر الشماتة لأخيه فيرحمه الله ويبتليه، فعقوبة الشامت في الدنيا هي انتقال المصيبة إليه.

---

(١) النِّساء: ٨٥.

(٢) ينظر: إمتاع الأسماع (١/ ١٧٦).

(٣) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] (ص: ٢٣٩).

(٤) القلم: ٤.



٢٢ جمادى الثانية

التحذير من الطمع

يُعدُّ الطمع صفة من الصفات غير الحميدة، مهما اختلفت العصور وتباينت الأوقات، فمنذ قديم الزمن وتلك الصفة مرفوضة تمامًا؛ حيث إنها تتسبَّب في الكثير من الخراب والدمار في المجتمعات، وذلك لأنها تساعد على نشر الفوضى بكثرة، وبسبب تلك الصفة تندثر الأخلاق الحميدة، وتَعُمُّ الأخلاق الذميمة، وهذا يُعدُّ سببًا كافيًا من أسباب تأخُّر المجتمعات، وليس ذلك فقط؛ بل يُعتبر أيضًا من أسباب الحروب بين الدول، فالطمع صفة لا تقوم بالتأثير على الفرد فقط، بل تُؤثِّر على المجتمع بأكمله.

والطمع يُذهب البركة، ويجعل الشخص في شعور دائم بالفقر، فهو يُؤدِّي إلى إذلال النفس في طلب الرزق، بدلًا من التوكل على الله والرضا بما كتبه، وقد قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- عند البخاري وغيره:" تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ"[١].

قال الرَّاغب: والطمع هو نزوع النَّفس إلى الشَّيء شهوةً له[٢]، وعندما يطمع المسلم في مال أو منصب زائل في الدنيا؛ فإن هذا يُعدُّ أمرًا مذمومًا، فالطمع قد يُؤدِّي بصاحبه إلى ارتكاب المعاصي، وخداع الآخرين من أجل المصلحة الشخصية.

ولقد ذمَّ الله تعالى الطَّمع في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المشرفة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾[البقرة: ٤١]، قال السُّدِّي: لا تأخذوا طمَعًا قليلًا وتكتُموا اسمَ الله، وذلك الثمن هو الطَّمع[٣]، وقال جلَّ في علاه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾[٤]. لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ: بسائق الطَّمع والحرص، وحب التكاثر بالأموال التي تميل بذويها إلى الباطل إن لم يتولَّهم الله بلطفه.

وعن عياض بن حمار- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقسط مُتصدِّق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكلِّ ذي قُربى ومُسلم، وعفيف مُتعفِّف ذو عيال. وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين فيكم تبع، لا يبغون أهلًا ولا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٤) برقم (٢٨٨٧) كتاب الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٢٤).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١/ ٥٦٥).

(٤) ص: ٢٤.



مالًا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دقَّ إلَّا خانه، ورجل لا يُصبح ولا يُمسي إلَّا وهو يُخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل أو الكذب. والشِّنظير: الفحّاش [(١)]". رواه مسلم [(٢)].

وعن جابر– رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" اتقوا الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ؛ فإنَّ الشحَّ أهلك مَن كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم". رواه مسلم [(٣)].

قال الشيخ ابن عثيمين في كتابه شرح رياض الصالحين: ثم قال صلى الله عليه وسلم: (واتقوا الشحَّ) يعني الطَّمع في حقوق الغير. اتقوه: أي احذروا منه واجتنبوه [(٤)].

والطَّمع نوعان هما: الطَّمع المحمود، وذلك مثل: الطَّمع في طلب مغفرة الله للإنسان، والطَّمع في دخول الجنة، والطَّمع في كرم الله تعالى.

والطَّمع المذموم، وذلك مثل: الطَّمع في طلب الدنيا وجمع المال، والطَّمع في سلطة أو منصب، والطَّمع في المأكل والمشرب والملذات.

ولكن يجب أن نُفرِّق بين الطمع والطموح: فهناك فرق كبير بين الشخص الطموح والشخص الطمَّاع، فالشخص الطموح هو الذي يضع أمامه مجموعة من الأهداف التي يسعى لتحقيقها، ومن أجل ذلك فهو يجتهد ويبذل قصارى جهده، وبالإضافة إلى ذلك فهو يستعين بالله ويتوكل عليه، ويرضى بقضائه ولا يسخط على حاله أبدًا، أما الشخص الطمَّاع فهو على العكس تمامًا فهو شخص لا يرضى بقضائه، فهو دائم البحث عن المزيد؛ حتى وإن كلَّفه ذلك اللجوء إلى طرق تُغضب الله تعالى للحصول على ما يريده.

وللأسرة دور بارز جدًّا لا غنى عنه في التخلُّص من الطمع نهائيًّا، حيث تُعدُّ الأسرة هي الأساس الذي ينشأ عليه الأفراد في كافة المجتمعات. حيث تقوم الأسرة بزرع الصفات الجيدة والخصال الحميدة، إلي جانب

---

(١) الزَبْر: بفتح الزاي وسكون الموحدة، أي لا رأي له ولا عقل كاملًا يمنعه، قوله: "لا يبغون أهلًا" أي لا يطلبون زوجة، فأعرَضُوا عن الحلال، وارتكبوا الحرام، قوله: "وإن دقَّ إلَّا خانه" هو إغراق في الطمع والخيانة، قوله: "الشِّنْظِيرُ" بكسر الشين والظاء المعجمتين بَيْنَهُمَا نون ساكنة، السيء الخلق، والفحَّاش: المكثر للفحش.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٧) برقم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٧٨) كتاب البر والصلة والآداب وأهلها باب تحريم الظلم.

(٤) شرح رياض الصالحين (٣/ ٤١٥).



تطبيقها بشكل دائم. كما تعمل على تعليم الأطفال المبادئ والقيم، ونهيهم عن الأمور السيئة. بالإضافة إلى هذا فلا بدَّ أن ينشأ بين الأطفال حب الغير، والشعور بالرضا، بجانب تعليمهم كيفية الإيثار على النفس. فإذا تم إنشاء أساسات مجتمعية قوية؛ سيتم القضاء نهائيًّا على الطمع في المجتمع، كما ستنتهي آثاره المختلفة؛ كالغش والخداع، والكذب والنفاق. ليس ذلك فقط بل ستختفي أيضًا العداوة، وسيعُمُّ السلام والمودة والمحبَّة بين كافة المجتمعات والدول، كما ستتوقف الحروب، وستتقدَّم وتتطوَّر البلاد، وسينال الأشخاص نظرة احترام وتقدير، كما سيتم الشعور بحب وقبول الذات؛ حيث إن التحلِّي بالأخلاق الحميدة أكثر ما يفيد الشخص طوال حياته، لذلك فإن الأسرة هي العامل الرئيسي الذي يقوم عليه كافة ذلك.

ولكي ينتزع المسلم تلك الصفة البغيضة منه؛ عليه أن يتحلَّى بالرضا والقناعة، وأن يعلم أنه لن يحصل من الدنيا إلَّا ما كتبه الله له، وعليه أن لا يجعل حب المال يلهيه عن ذكر الله تعالى، بل على العكس يجب عليه أن يجعل من المال الذي أعطاه له سبيلًا لرضا الله، وأن يحرص على أداء الزكاة حيث إن فيها شفاء للقلب من الطمع.

كذلك يجب أن يحرص على أن يكون كريمًا مع الناس، فالكرم من أقصر الطرق للقضاء على الطمع، كما يجب أن يكون أمينًا على أموال الآخرين، وأن لا يسأل الناس الزيادة إذا كان يمتلك ما يكفيه، ومن الضروري أن يُراعي الله في الطريقة التي يتحصَّل بها على أمواله، فلا يجمعها من الحرام الذي يُغضب الله تعالى.

قال سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- لابنه في وصية له يُحذِّره فيها من الطَّمع: يا بُنيَّ؛ إذا طلبتَ الغنى فاطلبه بالقناعة، فإنه مَن لم يكن له قناعة لم يُغنه مال[١].

وعن سعيد بن عمارة أنه قال لابنه: أظهر اليأس فإنه غنى، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر[٢].

الخلاصة: إن الطمع مِن أرذل وأقبح الصفات، لذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من الطمع والجشع، حيث قال كما ورد عند مسلم وغيره:" اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ"[٣]، وأراد رجلٌ أن يُقبِّل يد هشام بن عبد الملك، فقال له: لا تفعل، فإنما يفعله من العرب الطَّمِع[٤].

---

(١) المجالسة وجواهر العلم (٥/ ٤٦).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٤٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٨) برقم (٢٧٢٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٤) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٢/ ٤١٩). ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، المؤلف: جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٣ جمادى الثانية

التحذير من الظلم

الظلم هو الجور ومجاوزة الحد، وهو الميل عن القصد، وهو وضع الشيء في غير موضعه.

والظلم مُحَرَّمٌ بإجماع الأمة بأكملها، ولا يُحِلُّه أحدٌ من العلماء، كما أنَّ عواقبه ذميمة ووخيمة على الظالم. والمتدبِّر لكتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يجد من التحذير والتهديد والوعيد الشديد الذي يلحق المجرمين، والعتاة الظالمين، ما تنخلع له القلوب، ولقد جاء التحذير من الظلم تارة في التشديد على الظلم والتشنيع على أهله، وتارة بذكر ما حل بهم من العقوبات والمثُلات، وما ينتظرهم من عقوبات يوم العرض.

وقد وردت آيات عديدة في تنزيه الله تعالى نفسه عن الظلم، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾[(١)]، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٣)]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[(٤)]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[(٥)].

كما جاءت آيات أخرى تتحدث عن إهلاك الله تعالى للظالمين، وتوعدهم بعقوبات في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[(٧)]، وقال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾[(٨)].

وفي حديث مسلم عن أبي ذر- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" قال الله تبارك وتعالى: يا عبادي؛ إِنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا؛ فلا تظالموا"[(٩)].

---

(١) غافر: ٣١.

(٢) فصلت: ٤٦.

(٣) آل عمران: ١٠٨.

(٤) النساء: ٤٠.

(٥) يونس: ٤٤.

(٦) هود: ١٠٢.

(٧) سبأ: ٤٢.

(٨) غافر: ١٨.

(٩) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٤) برقم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.



قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: هذا الحديث قد تضمَّن من قواعد الدين العظيمة في العلوم والأعمال والأصول والفروع؛ فإن تلك الجملة الأولى وهي قوله: (حرَّمتُ الظلم على نفسي) يتضمن جلَّ مسائل الصفات والقدر إذا أعطيت حقَّها من التفسير، وإنما ذكرنا فيها ما لا بدَّ من التنبيه عليه من أوائل النكت الجامعة. وأما هذه الجملة الثانية وهي قوله: (وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا فلا تظالموا) فإنها تجمع الدين كله؛ فإنَّ ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم، وكل ما أمر به راجع إلى العدل[١].

وعن جابر- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" اتَّقوا الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة". رواه مسلم[٢].

وعن أبي موسى- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٣] رواه البخاري[٤]. قال ابن عثيمين في كتابه شرح رياض الصالحين: (يُملي له) يعني: يُمهل له حتى يتمادى في ظلمه، والعياذ بالله، فلا يُعجِّل له العقوبة[٥].

وأقسام الظلم ثلاثة: **الأول**: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٦]، **والثاني**: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾[٧] ، **والثالث**: ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[٨] ، وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس.

ومن صور الظلم:

١- الشرك بالله: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٩].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٥٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٧٨) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

(٣) هود: ١٠٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٧٤) برقم (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [هود: ١٠٢].

(٥) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٩٨).

(٦) لقمان: ١٣.

(٧) الشورى: ٤٢.

(٨) فاطر: ٣٢.

(٩) لقمان: ١٣.

٢- التعدِّي على حدود الله:﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

٣- الصدُّ عن مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[2].

٤- كتْم الشهادة: قال تعالى:﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[3].

٥- مظالم العباد وهو أكثرها وأشهرها. كما قال سفيان الثوري: إن لقيتَ الله تعالى بسبعين ذنبًا فيما بينك وبين الله تعالى؛ أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد[4].

ويمكن تقسيمه إلى ظلم قولي، وفعلي: فمن الظلم القولي: الغيبة، والنَّمِيمَة، والسباب والشتم، والاحتقار، والتنابز بالألقاب، والسخرية، والاستهزاء، والقذف، ونحو ذلك.

ومن الظلم الفعلي: القتل بغير حق، الظلم الواقع على المسلمين بسبب تمسُّكهم بدينهم، أخذ أرض أو شيء من الغير بغير وجه حق.

والظلم من المعاصي التي يُعجِّل الله عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، فعن أبي بكرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما من ذنبٍ أجدر أن يُعجِّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدَّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم". رواه أبو داود[5].

---

(١) البقرة: ٢٢٩.

(٢) البقرة: ١١٤

(٣) البقرة: ١٤٠.

(٤) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٣٨٠).

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٧٦) برقم (٤٩٠٢) كتاب الأدب باب في النهي عن البغي. والترمذي في جامعه (٤/ ٦٦٤) برقم (٢٥١١) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٨) برقم (٤٢١١) كتاب الزهد باب البغي. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٥٨٨).



والخلاصة: الظلم شرُّه عظيم، وعاقبته وخيمة، كما قال ابن القيم: سبحان الله! كم بكت في تنعُّم الظالم عينُ أرملة، واحترقت كبد يتيم، وجرت دمعة مسكين، ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾[١]، ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾[٢]، ما ابيضَّ لون رغيفهم حتَّى اسودَّ لون ضعيفهم، وما سمنت أجسامهم حتى انتحلت أجسام ما استأثروا عليه، لا تحتقر دعاء المظلوم، فشرر قلبه محمول بعجيج صوته إلى سقف بيتك، ويحك، نبال أدعيته مصيبة؛ وإن تأخر الوقت، قوسه قلبه المقروح، ووتره سواد الليل، وأستاذه صاحب (لأنصرنَّكِ ولو بعد حين) وقد رأيتَ ولكن لستَ تعتبر، احذر عداوة مَن ينام وطرفه باكٍ، يُقلِّب وجهه في السماء، يرمي سهامًا ما لها غرض سوى الأحشاء منك، فربما ولعلها إذا كانت راحة اللذة تثمر ثمرة العقوبة لم يحسن تناولها، ما تساوي لذة سنة غمَّ ساعة، فكيف والأمر بالعكس، كم في يمِّ الغرور من تمساح، فاحذر يا غائص، ستعلم أيها الغريم قصتك عند علق الغرماء بك:

إذا التقى كلُّ ذي دَينٍ وماطله   ستعلمُ ليلى أيَّ دَينٍ تداينتْ[٣]

فالحذر الحذر من الظلم بكافة صوره وأشكاله، وتأييد الظالم بأي شكل كان، فإن من يفعل ذلك فهو ظالم مثله، اقرأوا إن شئتم قول الله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾[٤]، يقول ابن عباس- رضي الله عنهما- في تفسيرها: أي: نظراءهم[٥].

فعلى المسلم عدم الركون إلى الظالم؛ لأنه سبب في انتشار الظلم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[٦].

بل يجب هجر الظالم وعدم إعانته على ظلمه؛ قال صلى الله عليه وسلم:" انصُر أخاك ظالمِا أو مظلومًا"، قالوا: يا رسولَ الله؛ هذا ننصُرُه مظلومًا، فكيفَ ننصُره ظالمِا؟! قالَ:"تأخُذُ فوقَ يَدِه". متّفَق عليه[٧].

---

(١) المرسلات: ٤٦.

(٢) ص: ٨٨.

(٣) بدائع الفوائد (٣/ ١٢٣٢). وانظر نحوه في المدهش (ص: ٣٨٧).

(٤) الصافات: ٢٢.

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٩/ ٥١٩).

(٦) هود: ١١٣.

(٧) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤٤) كتاب المظالم والغصب باب أعن أخاك ظالمِا أو مظلومًا. ولم أقف عليه في مسلم.



قال أبو العتاهية:

أمَــا واللَّهِ إنَّ الظُّلــمَ لــؤمٌ ... ولكـنَّ المسـيءَ هـو الظلومُ
إلى ديَّانِ يومِ الدِّينِ نمضــي ... وعندَ اللهِ تجتمعُ الخصومُ[1]

(١) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة (ص: ١٩٨).



٢٤ جمادى الثانية

التحذير من العُجْب

العُجب من الآفات الخطيرة التي تُصيب كثيرًا من الناس، فتصرفهم عن شكر الخالق إلى شكر أنفسهم، وعن الثناء على الله بما يستحق إلى الثناء على أنفسهم بما لا يستحقون، وعن التواضع للخالق والانكسار بين يديه إلى التكبر والغرور والإدلال بالأعمال، وعن احترام الناس ومعرفة منازلهم إلى احتقارهم وجحد حقوقهم.

فما هو العُجب؟ العُجْبُ: هو الكِبْر والزهو، واستعظام النعمة، والركون إليها، مع نسيان إضافتها للمُنْعِم سبحانه(١). وقد سُئل ابن المبارك عن العُجْب، فقال: أن ترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرِك، لا أعلم في المصلِّين شيئًا شرًّا من العُجْب(٢).

والعُجْب مُحَرَّمٌ؛ لأنه نوع من الشرك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: "وكثيرًا ما يُقرَن الرياء بالعُجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعُجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر؛ فالمرائي لا يُحقِّق قوله" إِيَّاكَ نَعْبُدُ"، والمعجب لا يُحقِّق قوله:" وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، فمن حقَّق قوله:"إِيَّاكَ نَعْبُدُ" خرج عن الرياء، ومن حقَّق قوله:" وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" خرج عن الإعجاب"(٣). وقد سَمَّى الشوكاني- رحمه الله: الحسد والكِبْر والرياء ومحبَّة الثناء؛ سمَّاها: الطواغيت الباطنة، والأصنام المستورة(٤).

وهناك فرق بين العُجْب والكِبْر: فالعُجب باطن، والكِبر والخُيلاء والتَّعاظم ظاهر، فالعُجب من أعمال القلوب الباطنة، فهو من الأعمال التي لا يطَّلع عليها إلَّا اللهُ تعالى، فإذا ظهرت آثار هذا العُجبِ الباطنِ على الجوارح- بالاختيال في المشي، أو غَمْطِ الناس، أو ردِّ الحقِّ- سُمِّيَ هذا الظاهِرُ على الجوارح كِبْرًا وخُيَلاءً.

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٧١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٧). سير أعلام النبلاء، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧٧).

(٤) ينظر: أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص: ٢٢٠). أدب الطلب ومنتهى الأدب، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: عبد الله يحيى السريحي، الناشر: دار ابن حزم - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.



والعُجْب كبيرة من كبائر الذنوب التي تستحق غضب الله، ومقته، وعذابه في الدنيا والآخرة، ويقول الغزالي: اعلم أن العُجْب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[(١)]، ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾[(٢)]، فردَّ على الكفَّار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم، وقال تعالى:﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[(٣)(٤)].

ومن أسباب العُجْب:

١- جهل المرء بحقيقة نفسه وغفلته عنها، وأنَّ جهله بنفسه، وصفاتها، وآفاتها، وعيوب عمله، وجهله بربه، وحقوقه، وما ينبغي أن يُعامل به، يتولَّد منهما رضاه بطاعته، وإحسان ظنِّه بها، ويتولَّد من ذلك من العُجْب والكبر والآفات ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة، من الزنا، وشرب الخمر، والفرار من الزحف، ونحوها.

٢- المدح والثناء، والإطراء في الوجه، سبب قوي من أسباب العُجْب. قال ابن حجر: قال ابن بطال: مَن أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العُجْب؛ لظنِّه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيَّع العمل والازدياد من الخير اتِّكالًا على ما وصف به[(٥)].

٣- وممَّا يوصل الإنسان إلى العُجْب بنفسه، مقارنته لنفسه بمَن هو دونه في العمل والفضل، واعتقاده أنَّ الناس هلكى بالذنوب والمعاصي، وأنَّه على خير كبير إذا قورن بغيره.

٤- النشأة والتربية، فقد ينشأ الإنسان في بيئة غلب عليها طبع العُجْب والكِبر فيتأثَّر بها.

وكما قال الشاعر:

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منَّا ... على ما كان عوَّده أبوه[(٦)]

---

(١) التوبة: ٢٥.

(٢) الحشر: ٢.

(٣) الكهف: ١٠٤.

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٦٩).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٧٧)

(٦) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (١/ ١٠، بترقيم الشاملة آليا).



٥- الرفقة والصحبة سبب من أسباب الإعجاب بالنفس، ذلك أن الإنسان شديد المحاكاة والتأثِّر بصاحبه، لا سيما إذا كان هذا الصاحب قويَّ الشخصية، ذا خبرة ودراية بالحياة، وكان المصحوب غافلًا على سجيته، يتأثَّر بكلِّ ما يُلقى عليه، وعليه فإذا كان الصاحب مُصابًا بداء الإعجاب؛ فإنَّ عدواه تصل إلى قرينه فيصير مثله.

ويصف ابن حزم علاج مَن أُعجب بقوة جسمه أو خفته فيقول: وإن أُعجبتَ بقوة جسمك؛ فتفكَّر في أنَّ البغل والحمار والثور أقوى منك وأحمل للأثقال، وإن أعجبتَ بخفَّتك، فاعلم أن الكلب والأرنب يفوقانك في هذا الباب. فمن أعجب العجيب؛ إعجاب ناطق بخصلة يفوقه فيها غير الناطق[١]. قال أحد الشعراء:

يَا مُظهِرَ الكِبرِ إعجابًا بصورتِهِ ... انظرْ خلاكَ فإنَّ النتنَ تثريبُ
لو فكَّرَ الناسُ فيما في بُطونِهِمُ ... ما استشعرَ الكبرَ شبانٌ ولا شيبُ
هل في ابنِ آدمَ مثلُ الرأسِ مكرُمةً ... وهو بخمسٍ من الأقذارِ مضروبُ
أنفٌ يسيلُ وأذنٌ ريحُها سهكٌ ... والعينُ مُرمِصةٌ والثغرُ ملعوبُ
يا ابنَ الترابِ ومأكولَ الترابِ غدًا ... أقصرْ فإنَّك مأكولٌ ومشروبُ[٢]

ولقد ذكر العلماء للعُجب سببين رئيسين: **أولهما**: جهل المعجب بحق ربه وقدره، وقلة علمه بأسمائه وصفاته، وضعف تعبُّده له تعالى بها. **ثانيهما**: الغفلة عن حقيقة النفس، والجهل بطبيعتها وعيوبها، وإهمال محاسبتها. ويدخل تحتهما: تجاهل النعم، ونسيان الذنوب، واستكثار الطاعات.

ومن صور العُجْب: أنه قد يحصل العُجْب بصفات اضطرارية وقد يحصل بصفات اختيارية، والفرق بينهما أن الصفات الاضطرارية هي ما خُلقت في الإنسان ابتداء دون أن يكون له تدخُّل فيها، كالجمال والنسب وغيرها، أما الاختيارية فهي ما تحصل عليها ببذل مجهود، واكتسبها بعد أن لم يكن متصفًا بها، كالعلم والمال والجاه وغيرها. وكلها العُجْب بها مذموم، ولا فرق بين أن تكون تلك الخصلة التي حصل بها الإعجاب اضطرارية؛ كجمال، أو فصاحة، أو كثرة عشيرة، أو مال، أو بنين، أم اختيارية، كإقدام، أو كثرة علم، أو طاعة، أو نحو ذلك، فإن العُجْب بذلك كله قبيح شرعًا، ولا نعرف فيه خلافًا.

---

(١) رسائل ابن حزم (١/ ٣٩٣).

(٢) المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٣٩٢).



والخلاصة: أن العجب صفة ذميمة وآفة خطيرة فإياك والعُجب بما وُفِّقتَ إليه من طاعة، وإياك والغرور؛ فإنك لا تدري أقُبِلتْ منك الطاعة أم لا، فربما شابها شائبة من الرياء أو عدم الإخلاص أو العُجب، والعُجب مُهلك ومفسد للطاعة؛ وروي عن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-:"سيئة تسوءُك خيرٌ عند الله من حسنةٍ تُعجبُك"(١) أي: سيئة تُنكد عليك وتندم عليها خيرٌ من حسنة تُعجب بها وتغتر.

وقد أخذ هذا المعنى ابن عطاء الله، وعبَّر عنه في حكمته فقال:" ربما فتح الله لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قدَّر لك المعصية فكانت سببًا في الوصول، ومعصية أورثت ذلًّا وانكسارًا خيرٌ من طاعة أورثت عُجبًا واستكبارًا"(٢). فالطاعة التي تُورثك العُجب والاستكبار وتقول بعدها: مَن مثلي؟ أنا الذي صمتُ وقمتُ، أنا الذي صليتُ التراويح وصليتُ القيام، أنا الذي تصدقتُ وأطعمتُ، وما يدريك يا مسكين أن هذا قد قُبِل منك!!

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٤٦، المجالسة وجواهر العلم (٥/ ٣٠٠) عن هشام بن حسان.

(٢) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (٢/ ٢٠). مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، المؤلف: موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشافعي (المتوفى: ٦١٥هـ)، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.



٢٥ جمادى الثانية

التحذير من العدوان

حذَّر الإسلام مِن العُدْوَان؛ لأنَّه صفة مذمومة ومقيتة، ونهى عن التَّعاون عليه، وقد وردت آياتٌ تحذِّر مِن ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[(١)].

والعُدْوَان: هو الظُّلم الصُّراح، قال أبو البقاء الكفويُّ: العُدْوَان: تجاوز المقدار المأمور به بالانتهاء إليه والوقوف عنده[(٢)]. وعرَّفه بعضهم بأنه: سلوك عمدي بقصد إيذاء الغير أو الإضرار بهم، ويأخذ صورًا وأشكالًا مُتعدِّدَة، منها العدوان البدني واللفظي، وقد أكَّد الله تعالى على عدم محبَّته للمعتدين في مواطن من كتابه، سواء كان اعتداؤهم بالقول أم بالفعل أم بالحال، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[(٣)].

والفرق بين العُدْوَان والظُّلم كما قال ابن رجب: بأنَّ الظُّلم ما كان بغير حقٍّ بالكلِّيَّة، كأخذ مال بغير استحقاق لشيء منه، وقتل نفس لا يحلُّ قتلها، وأما العُدْوَان: فهو مجاوزة الحدود وتعدِّيها فيما أصله مباح، مثل أن يكون له على أحد حقٌّ مِن مالٍ أو دمٍ أو عرضٍ، فيستوفي أكثر منه، فهذا هو العُدْوَان، وهو تجاوز ما يجوز أخذه، فيأخذ ما له أخذه وما ليس له أخذه[(٤)].

ومن الأدلة على التحذير: قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[(٥)]. قال الشيخ السعدي: والله قد نهى عن الاعتداء فقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك[(٦)].

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) الكليات (ص: ٥٨٤). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت، سنة النشر: بدون.

(٣) البقرة: ١٩٠.

(٤) شرح حديث لبيك اللهم لبيك (ص: ١٠٣). شرح حديث لبيك اللهم لبيك، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د. وليد عبد الرحمن محمد آل فريان، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧.

(٥) المائدة: ٨٧.

(٦) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٤٢).



وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[١]. قال الشيخ السعدي:" إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" أي: المتجاوزين للحدِّ في كلِّ الأمور، ومِن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو يتنطَّع في السُّؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدُّعاء، فكلُّ هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه[٢].

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" المستبَّان ما قالا، فعلى البادئ، ما لم يعتد المظلوم". رواه مسلم[٣]. قال النَّوويُّ: معناه أنَّ إثم السُّباب الواقع مِن اثنين مُختصٌّ بالبادئ منهما كلُّه، إلَّا أن يتجاوز الثَّاني قدر الانتصار، فيقول للبادئ أكثر ممَّا قال له[٤].

ومن آثار العُدْوَان في الدنيا والآخرة:

١- العُدْوَان سبب للعقوبة العاجلة في الدُّنيا: قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[٥]. فهؤلاء اليهود بجانب ضرْب الذلة عليهم حيثما حلوا؛ قد صاروا في غضب من الله، وأصبحوا أحقاء به، وضربت عليهم كذلك المسكنة التي تجعلهم يحسُّون بالصغار مهما ملكوا من قوة ومال.

٢- توعُّد المعتدي بدخول النَّار: قال تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ﴾[٦]. أي: منَّاع لنفع ماله وبدنه، مُعْتَدٍ على عباد الله وعلى حدوده.

٣- المعتدي بعيد عن محبَّة الله والقرب منه: قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[٧].

---

(١) الأعراف: ٥٥.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٩٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٠) برقم (٢٥٨٧) كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن السباب.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٤٠).

(٥) آل عمران: ١١٠-١١٢.

(٦) ق: ٢٤-٢٥.

(٧) الأعراف: ٥٥

٤- المعتدي على مال الغير؛ دمه هدر: نقل القرطبي عن أهل العلم قوله: قال علماؤنا: ويُنَاشَد اللِّصُّ بالله تعالى، فإن كفَّ تُرِك، وإن أَبَى قُوتِل، فإن أنت قتلته فشَرُّ قتيلٍ، ودمه هدرٌ[١].

ومِن صور العُدْوَان:

١- قتل النَّفس بغير حقٍّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[٢].

قال الشيخ السعدي: لا يقتل بعضكم بعضًا، ولا يقتل الإنسان نفسه. ويدخل في ذلك الإلقاءُ بالنفس إلى التهلكة، وفعلُ الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ ومن رحمته أن صان نفوسكم وأموالكم، ونهاكم عن إضاعتها وإتلافها، ورتب على ذلك ما رتبه من الحدود[٣].

ومن صور العدوان في القتل قتل النفس بالانتحار، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من تردَّى من جبل فقتل نفسه؛ فهو في نار جهنم يتردَّى فيه خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا، ومَن تحسَّى سمًّا فقتل نفسه؛ فسمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة؛ فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا ". رواه البخاري[٤].

٢- أكل مال الغير بغير حقٍّ: سواء بالسَّرقة أو الغصب أو النَّهب أو الاختلاس أو الاحتيال، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[٥].

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ١٥٦).

(٢) النِّساء: ٢٩-٣٠.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٧٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣٩) برقم (٥٧٧٨) كتاب الطب باب شرب السم والدواء به وبما يخالف منه والخبيث. ومسلم في صحيحه (١/ ١٠٣) برقم (١٠٩) كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

(٥) النِّساء: ٢٩-٣٠.

٣- العُدْوَان في القول: عن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" أتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أناسٌ مِن اليهود، فقالوا: السَّام عليك يا أبا القاسم. قال: وعليكم. قالت: قلتُ: بل عليكم السَّام والذَّام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة؛ لا تكوني فاحشة. فقالت: ما سمعتَ ما قالوا؟ فقال: أوليس قد رددتُ عليهم الذي قالوا؟ قلتُ: وعليكم ". رواه البخاري ومسلم(١).

٤- العُدْوَان على الأعراض: قال صلى الله عليه وسلم:" فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحُرمة يومكم هذا...". رواه البخاري ومسلم(٢). ويشمل التَّعدِّي على الأعراض: الغيبة والسَّبَّ والشَّتم والقذف وغير ذلك.

قال ابن الرُّومي:

ولا يرَى الظُّلمَ والعُدْوَانَ فاعلُهم　　　إلَّا إذا رابهُ ظُلْمٌ وعُدْوَانُ(٣)

الخلاصة: أن العدوان خلق ذميم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله تعالى من الظلم والعدوان، ويُعلِّم أصحابه ذلك، فعن زيد بن ثابت- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علَّمه وأمره أن يتعاهد أهله في كلِّ صباح:" وأعوذُ بكَ اللهمَّ أنْ أظْلِمَ أو أُظْلَم، أو أعتَدِيَ أوْ يُعْتَدَى عَليَّ". رواه أحمد(٤)، فلا ينبغي للمؤمن أن يكون مُعتديًا، ولا أن يسمح لأحد أن يعتدي عليه أو ينال منه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢) برقم (٦٠٢٤) كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله قريبًا من اللفظ المثبت. ومسلم في صحيحه واللفظ له (٤/ ١٧٠٦) برقم (٢١٦٥) كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٧٦) برقم (١٧٣٩) كتاب الحج باب الخطبة أيام منى. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٠٦) برقم (١٦٧٩) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.

(٣) ديوان ابن الرومي (ص: ٤٤٩٧). ديوان ابن الرومي، المؤلف: ابن الرومي علي بن العباس بن جريج.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٥٢٠) برقم (٢١٦٦٦).



٢٦ جمادى الثانية

التحذير من الغدر

إن من الخصال التي حذَّر منها الشرع ووصف صاحبها بأقبح وصف، ورتَّب عليها الإثم الكبير؛ صفة الغدر، التي لا يتَّصف بها إلا أهل النفاق والكفر، فهي من أبرز صفات المنافقين، أنَّهم إذا عاهدوا غدروا، فعن عبدِ اللهِ بنِ عمروِ بنِ العاصِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- أنَّ النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- قالَ:" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ". رواه البخاري ومسلم(١).

والغدر أيضًا من أبرز خصال اليهود التي وبَّخهم الله عليها في القرآن، قال الله تعالى فيهم ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾(٢)، وقال: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٣).

وقال سبحانه ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٤).

قال العلامة السعدي: وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربَّه من العبادات والنذور والأيمان التي عقدها؛ إذا كان الوفاء بها برًا، ويشمل أيضا ما تعاقد عليه هو وغيره كالعهود بين المتعاقدين، وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكِّده على نفسه، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها فقال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بعقدها على اسم الله تعالى ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها المتعاقدون ﴿كَفِيلًا﴾، فلا يحل لكم أن لا تحكموا ما جعلتم الله عليكم كفيلًا فيكون ذلك ترْك تعظيم الله واستهانة به، وقد رضي الآخر منك باليمين والتوكيد الذي جعلت الله فيه كفيلًا. فكما ائتمنك وأحسن ظنَّه فيك؛ فلتفِ له بما قلته وأكَّدته ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يُجازي كلَّ عاملٍ بعمله على حسب نيَّته ومقصده(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٤) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) (٥٨) كتاب الجهاد والسير باب بيان خصال المنافق.

(٢) المائدة: ١٣.

(٣) البقرة: ١٠٠.

(٤) النحل: ٩١.

(٥) تفسير السعدي (ص: ٤٤٨).



وأخبر سبحانه أن ناقض العهد ملعون في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾(١).

ولقد قص النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه ما حدث لرجلين من بني إسرائيل تعاهدا على الوفاء وتعاقدا عليه، حتى صارا مثلًا يُحكى ويُروى عن الأمانة والوفاء.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يُسْلِفَه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أُشْهِدُهُم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقتَ، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقْدمُ عليه للأجل الذي أجَّله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفةً منه إلى صاحبه، ثم زجَّجَ موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنتُ تسَلَّفْتُ فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلًا، فقلتُ: كفى بالله كفيلًا، فرضي بك، وسألني شهيدًا، فقلتُ: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وأَني جَهَدتُ أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدِر، وإني أستودِعُكَها، فرمى بها في البحر حتى ولجتْ فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قَدِم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدتُ مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه، قال: هل كنتَ بعثتَ إليَّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئتُ فيه، قال: فإنَّ الله قد أدَّى عنك الذي بعثتَ في الخشبة، فانْصَرِفْ بالألف الدينار راشدًا(٢).

كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث عديدة أن الغدر من كبائر الذنوب، ورتَّب عليه الوعيد الشديد، فعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان". رواه البخاري ومسلم(٣).

---

(١) الرعد: ٢٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٩٥) برقم (٢٢٩١) كتاب الكفالة باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها.

(٣) رواه البخاري مختصرًا في مواضع (١١٦٤/٣، ٢٢٨٥/٥، ٢٥٥٥/٦) (٣٠١٦، ٥٨٢٣، ٥٨٢٤، ٦٥٦٥) ، رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٦٠) (١٧٣٦) كتاب الجهاد والسير باب تحريم الغدر.



وفي حديث هرقل الطويل مع أبي سفيان عندما سأله عن النبي:" فهل يغدر؟ قال: لا، ثم قال هرقل: وسألتك هل يغدر؟ فزعمتَ أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون". رواه البخاري ومسلم(١).

فالغدر ليس من شيم الكرام، ولا من شيم أفاضل الناس، والغدر من شيم اللئام، ولذا يقولون: لو كان الاستبداد رجلًا وأراد أن يحتسب بنسبه؛ لقال: أنا الشر، وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر، وأختي المسكنة، وعمِّي الضر، وخالي الذل، وابني الفقر، وابنتي الحاجة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب.

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حُرًّا ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه، ولم يُعطه أجره(٢).

وتأمَّل وتدبَّر ما جاء في القرآن الكريم عن أن المسلم لا يُمكن أن يتعاطى الغدر أو يقوم به، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾(٣).

قال السعدي: وإذا كان بينك وبين قوم عهد وميثاق على ترْك القتال فخفتَ منهم خيانة، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدلُّ على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة، ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾عهدهم، أي: ارمه عليهم، وأخبرهم أنه لا عهد بينك وبينهم، ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾أي: حتى يستوي علمك وعلمهم بذلك، ولا يحل لك أن تغدر بهم، أو تسعى في شيءٍ مما منعه موجب العهد، حتى تخبرهم بذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ بل يبغضهم أشد البغض، فلا بد من أمر بيِّنٍ يُبرئكم من الخيانة، ودلَّ مفهومها أيضًا أنه إذا لم يَخَفْ منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك؛ أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨) برقم (٧) بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٩٣) (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٨٢) (٢٢٢٧) كتاب البيوع باب إثم من باع حرًا.

(٣) الأنفال: ٥٨.

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٢٤).

والخلاصة: أن الغدر من أخس الصفات وأن الله سبحانه وتعالى أمر بالوفاء بالعهد، وبيَّن أنه مما يُسئل عنه الإنسان بين يدي الله؛ فليتق الله، وليعظِّم هذا الموقف بين يديه سبحانه ويقدر له قدره، حيث قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾[(١)]. تقول أخت الأسود بن غفار:

لَا تَغـدُروا إنَّ هـذا الغـدرَ مَنقصـةٌ ... وَكـلُّ عيـبٍ يُـرى عيبًـا وَإِن صـغُرَا

إِنِّي أَخـافُ عَليكمْ مثلَ تلك غـدًا ... وَفي الأمـورِ تَدابيرٌ لِمَن نَظَـرَا

شَـتّانَ باغٍ علينـا غيرُ مُتَّئـدٍ ... يَغشى الظلامةَ لَن تبقي وَلن تذرَا[(٢)]

(١) الإسراء: ٣٤.

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام (ص: ٣٠). شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمعه ورتبه ووقف على طبعه: بشير يموت، الناشر: المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م.



٢٧ جمادى الثانية

التحذير من الغش

الغش كلمة مأخوذة من الغَشَش، وهو المشرب الكدر، وللكلمة معانٍ عدَّة متقاربة، فالغش بمعنى عدم النصح، وبمعنى الغل والحقد، وبمعنى ما يُخلَط من الرديء بالجيد، وبمعنى سواد القلب وعبوس الوجه، ومفهوم الغش مفهوم واسع؛ فهو ليس فقط في البيع والشراء، بل هو أشمل من ذلك وأعم، فكل ما لم يصدق فيه المرء من نية أو قول أو عمل فهو غش؛ والغش بكل أنواعه، وجميع أقسامه؛ يشمله حديثٌ من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، وهو قوله:" من غشَّنا فليس منَّا". رواه مسلم(١)؛ فهذا تبرُّؤ من الغاش، وثورة في وجه المخادع.

وقد نهى الإسلام عن الغش في جميع صوره ومظاهره، بل وتوعَّد الإسلام أهله بالويل والخسران، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾(٢).

وكذلك حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من الغش وتوعَّد فاعله، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم" مر على صُبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللًا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشَّ فليس مني، وفي رواية: مَن غشَّنا فليس منَّا، وفي رواية: ليس منَّا من غشَّنا". رواه البخاري ومسلم(٣).

ولذا يقولون: الغشاش فقط يستطيع أن يكون ذا وجهين، والأغبياء يُصدِّقونه، والمجرمون يُصفِّقون له. ويقول أبو العلاء المعري:

قـدْ عمَّنـا الغـشُّ وأزرى بنـا ... في زمـنٍ أعْـوَزَ فيـه الخُصـوص

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٩٩) (١٠١) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا».

(٢) المطففين: ١-٣.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح ٥/ ٣١، كتاب المساقاة، باب من قال إن صاحب الماء أحق بالماء حتَّى يَرْوَى، الحديث (٢٣٥٣)، ورواه مسلم في صحيحه (١/ ٩٩) (١٠٢) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا». ورواية " ليس منَّا من غشَّنا " عند أحمد في مسنده (٢٥/ ١٥٥) برقم (١٥٨٣٣). وابن ماجه في سننه (٢/ ٧٤٩) برقم (٢٢٢٤) كتاب التجارات باب النهي عن الغش. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ١٦١).



إنْ نُصِحَ السلطانُ في أمرِهِ رأى ذوي النّصحِ بعينِ الشُّصوص
وكلُّ مَنْ فوقَ الثّرى خائنٌ حتى عُدولُ المِصرِ مثلُ اللّصوص[١]

وللغش مظاهر كثيرة منها: الغش في البيع والشراء، وتطفيف الكيل والميزان، والغش في الامتحانات، والغش في الزواج، والغش في النصح للناس.

ومن صور الغش في البيوع: إنفاق السلعة بالحلف الكاذب، قال صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيحين: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، فذكر منهم: رجلًا باع رجلًا سلعة بعد العصر، فحلف له بالله لَأَخَذَهَا بكذا وكذا، فصدَّقه وهو على غير ذلك[٢].

قال الإمام الشعبي- رحمه الله-: إن رجلًا أقام سلعته أول النهار، فلما كان آخره جاء رجل يُساومه فحلف: لقد منعها أول النهار من كذا وكذا، ولولا المساء ما باعها منه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[٣][٤].

ومن صور الغش في البيوع: التناجش، وهو نوع من أنواع المكر والخديعة، وهو بمعنى أن يزيد الرجل في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها، ولكن ليسمعه غيره فيزيد بزيادته، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النجش، وقال: لا تناجشوا[٥]. فهو حرام وتغرير بالمشتري، وأي مال كسبه فهو حرام، وكسبٌ باطل.

---

(١) ديوان أبي العلاء المعري (ص: ٧٨١). ديوان أبي العلاء المعري، المؤلف : أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري (٣٦٣ -٤٤٩هـ).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٢) برقم (٢٣٦٩) كتاب المساقاة باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه. ومسلم في صحيحه (١/ ١٠٣) (١٠٨) كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

(٣) آل عمران: ٧٧.

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٥٢٠).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٦) (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.



ومن صور الغش: الغش في النصيحة، وذلك بعكس الصدق في النصح، والإخلاص في التوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الدين النصيحة، قالوا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامَّتهم". رواه مسلم[١].

ومن صور الغش: الغش في العمل؛ فبعض العُمّال والموظفين يغشُّ في عمله ووظيفته، يراوغ ويخادع، ويُهمل ويضيع، ويماطل ويقصر، ولا يتقن العمل، ولا ينجزه في وقته، يخون الأمانة، ويضيع حقوق العباد، يختزل ساعات العمل، بل قد يطلب من زملائه التوقيع له بالحضور وهو غائب، فيحصلُ على مقابلٍ أو راتبٍ يَشوبُه الكثير من الحرام، يظن أنَّها شطارة وذكاء، وما هو إلا خسران وهلاك.

ومن صور الغش: الكذب على الناس، ونقض العهود وإخلافها، فمن الناس من يغش عند إدلائه بالشهادة، فيشهد شهادة زور وبهتان وكذب، مقابلَ أموال من الحرام يأخذها، فينطق بالباطل ويكتم الحق، ويرتكب كبيرة من أبشع الكبائر وأخبثها، وفي الصحيحين عن أبي بكرة- رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئًا فقال: ألا وقول الزور، قال: فما زال يكرّرها حتى قلنا: ليته سكت". رواه البخاري ومسلم[٢].

ومن صور الغش: الغش في الامتحانات الدراسية، وهذا من أخطر الكوارث التربوية التي تتعرَّض لها مسيرة التربية والتعليم، فتعرقل تقدُّمها، وتخِلُّ موازينها، حين يحصل الغشَّاش على شهادة لا يستحقُّها، فيخرُج بهذا الغِشِّ جيلٌ جاهل خامل منحرف، ذو همة دنيئة وإرادة سافلة، يتولَّى القيادة من غير أن يكون مؤهَّلًا لها، ويُسنَدُ إليه من الأمور ما لا يُجيده ولا يُتقنه، وهذا ما حذَّر منه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال للأعرابي الذي سأله: متى الساعة؟ فقال: إذا ضُيِّعَتِ الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتُها يا رسول الله؟ قال:" إذا أسْنِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة". رواه البخاري[٣].

يقول الشيخ ابن عثيمين: فإن المعلم الذي يُقدِّر درجات أجوبة الطلبة، ويُقدِّر درجات سلوكهم؛ هو حاكمٌ بينهم، لأن أجوبتهم بين يديه بمنزلة حجج الخصوم بين يدي القاضي، فإذا أعطى طالبًا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) (٥٥) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين نصيحة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٧٢) برقم (٢٦٥٤) كتاب الشهادات باب ما قيل في شهادة الزور. ومسلم في صحيحه (١/ ٩١) (٨٧) كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢١) برقم (٥٩) كتاب العلم باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب السائل.



درجات أكثر مما يستحق؛ فمعناه أنه حكم له بالفضل على غيره مع قصوره، وهذا جور في الحكم، وإذا كان لا يرضى أن يُقدَّم على ولده مَن هو دونه، فكيف يرضى لنفسه أن يُقدِّم على أولاد الناس مَن هو دونهم[١].

ومن أعظم الوسائل التي تُجنِّب الإنسان الغشَّ والوقوع فيه؛ أن يعلم أن الله مُطَّلِعٌ عليه ويراه، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

الخلاصة: الغش ليس من صفات المؤمنين، وإن بناء الأمم والحضارات لا يقوم أبدًا على الغش، فلا يمكن أن تُقام دول، ولا يرسخ أمن ونظام، ولا تُبنى الحضارات؛ ما لم يبتعد الناس عن الغش، ويجعلون النصح رائدهم، فبعض ما يُسمَّى بالدول التي بُنيت على الغش والخداع؛ لا تجد فيها أمنًا ونظامًا أو قانونًا، ولا تنمية أو اقتصادًا، ولا حضارة باقية شاهدة عبر التاريخ، لا تكاد تجدها على أرض الواقع، إنما تجدها فقط عبر وسائل الإعلام الغاشَّة من إذاعة وتلفاز وصحيفة.

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٨/ ٦١٠). الضياء اللامع من الخطب الجوامع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

(٢) المجادلة: ٧.

٢٨ جمادى الثانية

التحذير من الغضب

للفطرة الإنسانية معالم ثابتة من الغضب والحمية، يعز محوها ولا يسوغ جهلها، كما أن مخالطة الناس تُعرِّض المرء لا محالة لخطر سورتهم وخطل ثورتهم.

وكُنْ حَسَنَ السَّجَايا ذَا حَيَاءٍ   كريمَ النَّفسِ لا شكِسًا غَضُوبَا[(١)]

ولا تسأل عما يُسبِّبه من علل وأدواءٍ مزمنة، تبعث الكلل والملل، يقول علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: أوَّلُ الغضبِ جنون، وآخره ندم، وربما كان العطب في الغضب[(٢)].

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي- رحمه الله-: إنَّ الغضب شعلة نار، مستكنة طي الفؤاد، استكنان الجمر تحت الرماد، يستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد[(٣)].

لا يحملُ الحقدَ مَنْ تعلُو به الرُّتبُ   ولا ينالُ العُلا مَنْ طبعُه الغضبُ[(٤)]

قيل للإمام عبد الله بن المبارك- رحمه الله-: اجمع لنا الخُلُق في كلمة، قال: تَرْك الغضب[(٥)].

وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- قال: قد أفلح من عُصِمَ من الهوى والغضب والطمع[(٦)].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾[(٧)].

قال العلامة السعدي في تفسيره: قد تخلَّقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحدٌ بمقاله أو فعاله؛ كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يُقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح، فترتَّب- على هذا العفو

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ٥٩٦). الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.

(٢) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ١٨٣).

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ١٦٤).

(٤) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٦/ ٢٤١، بترقيم الشاملة آليا).

(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٦٣).

(٦) رواه معمر بن راشد في جامعه (١١/ ١٢٦) برقم (٢٠١٠٣). الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، المؤلف: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٧) الشورى: ٣٧.



والصفح؛ من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم- شيءٌ كثيرٌ، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[١][٢].

والغضب قسمان: محمود، ومذموم؛ أما الغضب المحمود فهو ما كان لله ولحُرُماته، ولم يكن للنفس فيه نصيب؛ فالمؤمن يغضب إذا انتهكت حرمات الله.

فالله تعالى يغضب ممن تعدَّى حدوده وتجرَّأ على حرماته، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾[٣]، وغيرها كثير.

وأنبياءُ الله ورسله يغضبون ممن يعصون الله ويَصدُّون عن سبيله، قال تعالى عن موسى- عليه السلام-: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾[٤]، وقال عن يونس- عليه السلام-: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥].

ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم وهو القدوة والأسوة لنا في أمورنا كلها؛ لم يغضبْ لنفسه قط؛ فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" ما خُيِّرَ النبي- صلى الله عليه وسلمَ- بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، واللهِ ما انتقم لنفسه في شيء يُؤتى إليه قط، حتى تُنتهك حُرُمات الله فينتقم لله". رواه البخاري[٦].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اللهمَّ إنَّما محمدٌ بشرٌ يغضب كما يغضب البشرُ، وإني قد اتخذتُ عندك عهدًا لن تخلفنيه، فأيُّما مؤمن آذيتُه أو سببتُه أو جلدتُه؛ فاجعلها له كفارة وقربة، تُقرِّبه بها إليك يوم القيامة". رواه مسلم[٧].

---

(١) فصلت: ٣٤-٣٥.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٦٠).

(٣) الشورى: ١٦.

(٤) الأعراف: ١٥٠.

(٥) الأنبياء: ٨٧.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٦٠) برقم (٦٧٨٦) كتاب الحدود باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٣) (٢٣٢٧) كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

(٧) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٨) (٢٦٠١) كتاب البر والصلة والآداب باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم، أو سبه، أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرًا ورحمة.



والمؤمنون يغضبون ممَّن يُفسدون في الأرض، ويصدُّون عن سبيل الله، ويعتدون على عباده وينتهكون حُرُماته، لكن من غير إثم ولا ظلم ولا عدوان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾(١).

وهناك غضب مذموم، وهو الذي يكون عن طيش وعجلة، وله آثار سيئة يقع فيها الإنسان ويُوقع فيها غيره، لذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغضب في وصيته الوجيزة البليغة الجامعة؛ فعن عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم:" أوصني؟ قال: لا تغضب، فردَّد مرارًا، قال: لا تغضب". رواه البخاري(٢).

وعلاج الغضب:

أولًا: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ فالشيطان يُثير الغضب في نفس الإنسان، وهذه رسالة الشيطان ومُهمَّته في الحياة، أن يُوقع بين الناس العداوة والبغضاء، وقد أمرنا الله تعالى بالالتجاءِ إليه والتعوُّذِ به من شر الشيطان وكيده، فقال عز وجل: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾(٣).

وفي الصحيحين عن سليمان بن صُرَدٍ قالَ:" اسْتَبَّ رَجُلَانِ عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس، وأحدُهما يسبّ صاحبه، مُغضَبًا قد احمرَّ وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنِّي لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقالوا للرجل: ألا تسمعُ ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: إني لستُ بمجنون"(٤).

ثانيًا: السكوت وضبط اللسان عن الكلام أثناء الغضب؛ لأن الغاضب لا يتحكَّم في كلماته، ولا يدري ما يقول، ولا يتأمَّل في عواقب كلامه، فالسكوت أسلم له من الكلام حتى يهدأ غضبه؛ وفي حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" يسِّروا ولا تُعسِّروا، وإذا غضب أحدكم فليسكتْ". رواه أحمد(٥).

---

(١) الشورى: ٣٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٨) (٦١١٦) كتاب الأداب باب الحذر من الغضب.

(٣) فصلت: ٣٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٥) برقم (٦٠٤٨) كتاب الحدود باب ما ينهى من السباب واللعن. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠١٥) (٢٦١٠) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٩) برقم (٢١٣٦). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٣٦٣).



ثالثًا: تغيير وضعية الغاضب أثناء غضبه؛ فإن كان الغاضب واقفًا أثناء غضبه فليجلسْ، وإن كان جالسًا فليضطجعْ؛ لأن القائم مُتهيئٌ للشر، والقاعد دونه، والمضطجع أبْعَد، وذلك ما أمرَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر- رضي الله عنه- حين قال:" إذا غضبَ أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلَّا فليضطجع". أخرجه أحمد(١).

والخلاصة: إذا أغضبك أحدٌ من الناس فلا تتسرَّع في الانتقام والإهانة والتعذيب، بل إذا غرَّتك قوَّتُك فتذكَّر قوة الله فوقك، وتذكَّرْ قدرة الله عليك عند قدرتك على غيرك.

روى مسلم عن أبي مسعود البدري- رضي الله عنه- قال:" كنتُ أضربُ غلامًا لي بالسوط، فسمعتُ صوتًا من خلفِي: اعلمْ أبا مسعود؛ فلم أفهَم الصوتَ من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: اعلمْ أبا مسعود؛ اعلمْ أبا مسعود؛ قال: فألقيتُ السوط من يدي، فقال: اعلمْ أبا مسعود؛ أنَّ الله أقدَرُ عليك منك على هذا الغلام، قال: فقلتُ: لا أضربُ مملوكًا بعده أبدًا، وفي رواية: فقلتُ: يا رسول الله؛ هو حُرٌّ لوجه الله، فقال: أما لو لم تفعل للفحَتْك النار، أو لمسَّتك النار"(٢).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٢٧٨) برقم (٢١٣٤٨). وأبو داود في سننه (٤/٢٤٩) برقم (٤٧٨٢) كتاب الأدب باب ما يقال عند الغضب. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٢٨٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٨٠) (١٦٥٩) كتاب الأيمان باب صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده.



٢٩ جمادى الثانية

التحذير من الغيبة والنميمة

إن داء الغيبة والنميمة داءٌ مِن أفسد وأفتك الأدواء التي تُبتلى بها الأفراد والجماعات، ومِن ثَمَّ حذَّرنا اللهُ تبارك وتعالى من هذا الداء في كتابه العزيز فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾(١).

يقول العلامة السعدي- رحمه الله-: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ والغيبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ذكرك أخاك بما يكره". رواه مسلم(٢). ولو كان فيه، ثم ذكر مثلًا مُنفِّرًا عن الغيبة، فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُ﴾ شبَّه أكل لحمه ميتًا، المكروه للنفوس غاية الكراهة؛ باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصًا إذا كان ميتًا فاقد الروح، فكذلك فلتكرهوا غيبته، وأكل لحمه حيًّا، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ والتوَّاب الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفِّقه لها، ثم يتوب عليه، بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبِل منهم التوبة، وفي هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبَّهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر(٣).

فالغيبة هي أن تذكر أخاك بما يَكْره، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟! قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ". رواه مسلم(٤).

فإنْ عِبْتَ قومًا بالذي ليسَ فيهمُ ... فذلكَ عندَ اللهِ والنَّاسِ أكبرُ
وإنْ عِبْتَ قومًا بالذي فيك مثلُهُ ... فكيفَ يَعِيبُ الناسَ مَنْ هُو أعورُ(٥)

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠١) (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الغيبة.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٨٠٢).

(٤) هو الحديث المتقدم قريبًا.

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢٥).



والنميمة هي نقل الحديث من قومٍ إلى قومٍ، أو من إنسانٍ إلى إنسانٍ آخر، على وجه الإفساد؛ فهي خصلة ذميمة تجلب الشر، وتدعو إلى الفرقة، وتوغرُ الصدور وتثير الأحقاد، وتنفر الناس منه، فيصبح لا أنيس له ولا جليس، والعاقل من تبرَّأ من تلك الخصال الدنيئة، وتطهَّر من أدرانها الخبيثة، وعمل على محاربتها بكل ما في وسعه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[١].

يقول الشيخ السعدي في تفسيره ﴿هَمَّازٍ﴾أي: كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء وغير ذلك، ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقْل كلام بعض الناس لبعض، بقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ". رواه مسلم[٣].

فالغيبة والنميمة داءان خطيران يُسبِّبان عذاب القبر وشدة الحساب، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ:" إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ". رواه البخاري[٤].

والغيبة والنميمة انتهاك لحرمة المسلم التي أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم صونها وحفظها، فقد خطب صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال: فَإِنَّ اللَّهَ حرَّمَ عَلَيْكُمْ دِماءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا". رواه البخاري[٥].

ولقد بَيَّنَ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطر الغيبة والنميمة، وإثمهما وسوء عاقبة أصحابهما، فقال- عليه الصلاة والسلام-:" لما عُرج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نُحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم". رواه أبو داود[٦].

---

(١) القلم: ١٠-١٣

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٧٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٠١) (١٠٥) كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم النميمة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٣) برقم (٢١٨) كتاب الوضوء باب ما جاء في غسل البول. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٤٠) (٢٩٢) كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٧٧) (١٧٤٢) كتاب الحج باب الخطبة أيام منى.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٢١/ ٥٣) برقم (١٣٣٤٠). وأبو داود في سننه (٢٦٩/٤) برقم (٤٨٧٨) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٧٨).



وعَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها- قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِي صلى الله عليه وسلم:" حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ بعض الرواة: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ". رواه أبو داود[(١)].

والغيبة أعظم من أكل الربا: فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ- رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ:"مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ المسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ". رواه أبو داود[(٢)].

ومَن اغتاب الناس تتبَّع الله عورته وفضحه في بيته: فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ؛ لَا تَغْتَابُوا المسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ". رواه أبو داود[(٣)].

ومرَّ عَمْرو بن الْعَاصِ- رضي الله عنه- على بغل ميتٍ، فَقَالَ لبَعض أَصْحَابه: لَأَن يَأْكُلُ الرجلُ من هَذَا حَتَّى يمْلَأ بَطْنَه؛ خيرٌ لَهُ من أَن يَأْكُلَ لحمَ رجلٍ مُسلمٍ[(٤)].

وجاء رجلٌ إلى عمرو بن عبيد فقال له: إن الأسواريَّ ما زال يذكرك في مجالسه بشَرٍّ، فقال عمرو: يا هذا؛ ما راعيتَ حقَ مجلس الرجل حين نقلتَ إلينا حديثه، ولا أدَّيتَ حقِّي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن قل له: إنَّ الموتَ يعمُّنا، والقبرَ يضمُّنا، والقيامة تجمعنا، والله يحكم بيننا، وهو خير الحاكمين[(٥)].

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/٢٦٩) برقم (٤٨٧٥) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٧٥).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٨٩) برقم (١٦٥١). وأبو داود في سننه (٤/٢٦٩) برقم (٤٨٧٦) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٧٦).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٣/ ٢٠) برقم (١٩٧٧٦). وأبو داود في سننه (٤/٢٧٠) برقم (٤٨٨٠) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٨٠).

(٤) الزهد لهناد بن السري (٢/ ٥٦٣). الزهد، المؤلف: أبو السَّرِي هَنَّاد بن السَّرِي بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زيد التميمي الدارمي الكوفي (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٥) تعليق من أمالي ابن دريد (ص: ١٥٥). تعليق من أمالي ابن دريد، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: السيد مصطفى السنوسي، مدرس اللغة العربية بجامعة الكويت، الناشر: المجلس الوطني للثقافه والفنون والآداب بالكويت – قسم التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ – ١٩٨٤م.



ورُوِيَ أن رجلًا قال لعبد الملك بن مروان: إني أريد أن أُسِرَّ إليكَ حديثًا، فأشار الخليفة إلى أصحابه بالانصراف، فلما أراد الرجل أن يتكلم؛ قال الخليفة: قِفْ، لا تَمْدحني، فأنا أعلم بنفسي منك، ولا تَكْذِبْني فأنا لا أعفو عن كذوب، ولا تَغْتَبْ عندي أحدًا فلستُ أسمعُ إلى مغتاب. فقال الرجل: هل تأذن لي في الخروج؟! فقال الخليفة: إن شئتَ فاخرج[١].

والخلاصة: أن الغيبة لا تُباح إلَّا لغرض شرعي؛ كأن يُعلن المظلوم عن ظلمه، أو يُدعى إنسانٌ للشهادة، أو يشهدَ من غير أن يُدعى لإثبات حق قد يضيعُ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[٢]. فإحقاق الحقوق مما هو مطلوب ومأمور به شرعًا، فقد سألتْ هِنْدُ زوجة أبي سفيان- رضي الله عنهما- رسول الله صلى الله عليه وسلم فقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهْوَ لَا يَعْلَمُ، فَقَالَ:" خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ". رواه البخاري[٣].

كما تجوز الغيبة عندما يسألك إنسان عن مصاهرة إنسانٍ أو مشاركته أو معاملته، فإنه يجوز لك أن تُبيِّنَ مِنْ حاله وواقِعِه بقدر الحاجة، وبنيَّة النصيحة لا التشفِّي.

كما أن المجاهِر بالمعاصي لا تحرُم غيبته إن أُمِنَ شَرُّهُ، وكذا الفاسق والمنافق والمارق من الدين؛ كي يجتَنب الناس شرورهم.

وينبغي لمن سمع غِيبةَ مسلمٍ أن يردَّها ويزجرَ قائلَها، فإن لم ينزجرْ بالكلامِ زجرَه بيدِهِ، فإن لم يستطعْ باليدِ ولا باللسانِ؛ فارقَ ذلكَ المجلسَ، فإن سمعَ غِيبَةَ شيخهِ أو غيرِهِ ممَّن له عليه حقٌّ، أو كانَ من أهل الفضلِ والصَّلاحِ؛ كان الاعتناءُ بما ذكرناه أكثرُ، كما قال الإمام النووي[٤].

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٥٠). التذكرة الحمدونية، المؤلف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢) البقرة: ٢٨٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٧٩) برقم (٢٢١١) كتاب البيوع باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم: في البيوع والإجارة والمكيال والوزن، وسننهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٣٨) (١٧١٤) كتاب الأقضية باب قضية هند.

(٤) الأذكار للنووي (ص: ٣٤٣). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.



٣٠ جمادى الثانية

التحذير من الفتور

الفتور هو أحد شِباك الشيطان التي يحاول بها أن يُكبِّل المؤمن السائر بعزم على طريق ربه، لكي يفت من عزمه، ويقيد خطواته حتى تخور قواه، فيستسلم لحبائل الشيطان، ويقع فريسة سهلة، يخوض في وحل الشهوات والمنكرات، ظنًّا منه أنها ستكون فترة قصيرة ويُعاود بعدها السير إلى ربه، فلا يجد نفسه إلا راكبًا سفينة تمخر به في بحر لُجي من الذنوب والشهوات والتنازلات، التي تراكمت بعضها فوق بعض، وقد فقد القدرة على التوقُّف، وكذلك القدرة على العودة، ولم يعد أمامه سوى خيار واحد، ألا وهو أن يخوض هذا الغِمار حتى النهاية، وهو لا يدري أنه بحر بلا قاع ولا شُطآن.

والفتور يُطلق في اللغة على معنيين: الأول: الكسل أو التراخي، أو التباطؤ بعد النشاط والجد، والثاني: السكون بعد الحركة، والانقطاع بعد الاستمرار. والفتور آفة تصيب النفس فيشعر صاحبها بقسوة في القلب، وضيق في الصدر، ووهن في الإرادة، واستسلام للكسل.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كما يَخلَقُ الثّوبُ، فاسْألُوا اللهَ تعالَى أنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكمْ"[١]. صحيح الجامع.

ولقد ذُكِر الفتور في القرآن الكريم بمعانٍ عديدة، كلها متقاربة في المعنى، فذُكِر الفتور بمعنى (الكسل- التثاقل- التثبيط- الغفلة- الضعف- الملل والسآمة- الرجوع عن الأمر) وهذه المعاني كلها صعبة، وتُؤدِّي إلى نتيجة واحدة، لا يرضى عنها الله عز وجل، ومن هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢].

وقال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ٣٧) برقم (٨٤). والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٤٥) برقم (٥). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٣٣٠) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ١١٣).

(٢) النساء: ١٤٢.

(٣) التوبة: ٣٨.



قال الشيخ السعدي: اعلم أن كثيرًا من هذه السورة الكريمة؛ نزلت في غزوة تبوك، إذ ندب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى غزو الروم، وكان الوقت حارًّا، والزاد قليلًا، والمعيشة عسرة، فحصل من بعض المسلمين من التثاقل ما أوجب أن يعاتبهم الله تعالى عليه ويستنهضهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ألا تعملون بمقتضى الإيمان، وداعي اليقين من المبادرة لأمر الله، والمسارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه والنصرة لدينكم، فـ ﴿مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾أي: تكاسلتم، وملتم إلى الأرض والدعة والسكون فيها[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾[٣].

قال الشيخ السعدي: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم ولا عمل صالح، حتى إن الصلاة التي هي أفضل أعمال البدن؛ إذا قاموا إليها قاموا كسالى، قال: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾ أي: متثاقلون، لا يكادون يفعلونها مِن ثقلها عليهم[٤].

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل، فكنتُ أسمعه يُكثر أن يقول:" اللهمَّ إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال". رواه البخاري[٥].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لكلِّ عمل شِرَّة، ولكلِّ شِرَّة فَتْرة، فمن كانت فَتْرتُه إلى سنَّتي فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك". رواه أحمد[٦].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٣٧).

(٢) التوبة: ٤٦.

(٣) التوبة: ٥٤.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٣٤٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٦) (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير باب من غزا بصبي للخدمة.

(٦) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٣٧٥) برقم (٦٧٦٤). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٣١).



وَالْفُتُورُ هُوَ التَّرَاخِي بَعْدَ الْعَزْمِ، وَالضَّعْفُ بَعْدَ الْقُوَّةِ، وَالْكَسَلُ بَعْدَ النَّشَاطِ، وَالْفُتُورُ دَاءٌ عُضَال، يَحْتَاجُ جَمِيعَ النُّفُوسِ، وَهُوَ صِفَةٌ ذَمِيمَةٌ نَزَّهَ اللَّهُ مَلَائِكَتَهُ عَنْهَا؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[1]، وَلَمَّا حَمَّلَ اللَّهُ مُوسَى- عليه السلام- رِسَالَةً إِلَى فِرْعَوْنَ؛ أَرْشَدَهُ إِلَى ذِكْرِهِ وَأَلَّا يَفْتُرَ عَنْهُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝٤٢ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[2].

ومن أعظم ما يدفع عن الإنسان الفتور؛ دُعَاءُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُعِينَكَ عَلَى الْخَيْرِ وَأَنْ يَقْبِضَكَ عَلَيْهِ، فَهَذَا هو النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ؛ وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي الْقَدْرِ وَالْمَكَانَةِ؛ كَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ:" يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ؛ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". رواه الترمذي[3].

وأيضًا قِرَاءَةُ سِيَرِ الثَّابِتِينَ؛ فَبِرَغْمِ الْفِتَنِ الَّتِي وَاجَهَتْهُمْ لَكِنَّهَا لَمْ تُغَيِّرْ لَهُمْ مَبْدَأً، حَتَّى وَافَتْهُمُ الْمَنِيَّةُ، فَقِرَاءَةُ سِيَرِ هَؤُلَاءِ أَنْفَعُ لِإِيمَانِ الْعَبْدِ وَأَدْعَى لِثَبَاتِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تعالى لِنَبِيِّهِ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وأيضا الرُّفْقَةُ الصَّالِحَةُ، وَهِيَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ لِدَوَامِ صَلَاحِ الْمَرْءِ وَاسْتِقَامَتِهِ، كما قَالَ- صلى الله عليه وسلم-:" الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ". رواه الترمذي وأبو داود[5]؛ ذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ انْحَرَفَ عَنْ مَسَارَاتِ الْهُدَى كَانَ سَبَبُهُ الرُّفْقَةَ السَّيِّئَةَ.

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ... وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي[6]

وأيضا: تَرْوِيضُ النَّفْسِ وَمُرَاعَاةُ أَحْوَالِهَا؛ فَإِنَّ قَوْمًا أَخَذُوا بِالْعَزَائِمِ دَائِمًا؛ فَأَثْقَلُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ فَانْتَهَى بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى التَّرْكِ بِالْكُلِّيَّةِ؛ ولذلك قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[7].

---

(١) الْأَنْبِيَاءِ: ٢٠.

(٢) طه: ٤٢-٤٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٩/ ١٦٠) برقم (١٢١٠٧). والترمذي في جامعه (٤/ ٤٤٨) برقم (٢١٤٠) أبواب القدر باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٥٦) برقم (٧٦٩٠) كتاب النعوت قوله: ولتصنع على عيني. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ١٢٦).

(٤) هُودٍ: ١٢٠.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٥٩) برقم (٤٨٣٣) كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس. والترمذي في جامعه (٤/ ٥٨٩) برقم (٢٣٧٨) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٥٩٧).

(٦) الدر الفريد وبيت القصيد (٣/ ١٠٩).

(٧) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٥٥) برقم (٥٨٦١) كتاب اللباس باب الجلوس على الحصير ونحوه. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤٠) (٧٨٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره.

وقال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-:

اجهدْ ولا تكسلْ ولا تكُ غافلًا فندامةُ العُقبَى لمن يتكاسلُ[١]

الخلاصة: أن علاج الفتور باستحضار علو الهمة وقطْع كل الأسباب التي من شأنها أن تُوقع المسلم في خنادق الفتور، ومهاوي التقصير، ليسلك وسائل الثبات، وطرق الالتزام، فيُعظِّم العبد ربه في قلبه، ويطبع هذا التعظيم على أقواله وأفعاله واعتقاده، ويتّبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم بلا زيادة أو نقصان، ويضع الموت والنار والجنة نُصب عينيه، يرجو رحمة ربه، ويخاف عذابه، مُبتعدًا عن طرق الهوى والفتنة بشتى وسائلها، وصاحب هذه الآفة بفتوره هذا؛ يُضاعف الجهد على العاملين المجتهدين، ويغري بهم السُّفهاء بقعوده عنهم، وهو إن لم يبادر بالتوبة والأوبة؛ يُختَم له بسوء الخاتمة والعياذ بالله. نسأل الله العفو والعافية.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان (١/ ١٦٣). موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤هـ.




تمت بحمد الله